SHAKER AL-NABULSI

سياسة
POLITICS

شاكر النابلسي

سور العرب العظيم

ما هو ولماذا؟



سور العرب العظيم
ماهو ولماذا؟

سور العرب العظيم : ما هو ولماذا ؟ / سياسة
شاكر النابلسي / مؤلّف من الأردنّ
الطبعة الأولى ، 2009



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب 5460-11 ، هاتفاكس 751438 / 752308 1 00961
نشر مشترك مع :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص. ب 9157 ، هاتف 5605432 6 00962 ، هاتفاكس 5685501 6 00962
e-mail : info@airpbooks.com
موقع الدار الإلكترونيّ : www.airpbooks.com
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
سيسي ®
لوحة الغلاف : **ڤيتسلاف ڤالكوسكي / بولندا**
الصفّ الضوئيّ : **المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر / بيروت ، لبنان**
التنفيذالطباعيّ : **ديمو پرس / بيروت ، لبنان**

ISBN 978-9953-36-319-6



شاكر النابلسي

سور العرب العظيم

ما هو ولماذا؟



المحتويات

إلى ذكرى

خالد محمد خالد

المقدمة

-1-

* منذ أن استولى العثمانيون في القرن السادس عشر وتحديدا عام 1517 بقيادة سليم الأول على بلاد الشام ومصر ثم باقي أنحاء العالم العربي، وسور العزل العربي عن الآخر يبنى ويمتد ويرتفع إلى أن أصبح الآن أكبر ضخامة من سور الصين العظيم، وقد حجز العرب خلفه عن العالم، أو أن العرب حجزوا أنفسهم خلف هذا السور عن العالم، بفضل العمليات الإرهابية التي بدأت منذ نهاية القرن العشرين الماضي، وما زالت مستمرة حتى الآن.

-2-

لقد بنى الإرهابيون لنا هذا السور العظيم، ووضعونا خلفه، لكي يحققوا القطيعة (الشرعية) بيننا وبين العالم المتحضر. أرادونا أن نبقى منعزلين عن هذا العالم كما كنا منذ خمسة قرون خلت، حين قضينا تحت الاستعمار العثماني مئات السنين، ونحن لا ندري ولا ندرك ماذا يدور في هذا العالم، إلا بما يتيحه لنا الباب العالي من أخبار وتقارير.

-3-

وخلف هذا السور العظيم نعيش اليوم مكروهين ومنبوذين ومبعدين، لا أحد في الشرق أو في الغرب يرحب بنا، أو يريد قربنا. ولولا هذه الثروة النفطية التي لدى بعضنا، لكنا قد محينا من وجه الأرض، وضربنا بالقنابل النووية، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، كما ضربت اليابان عام 1945 نتيجة لضربها القوات الأمريكية في بيرل هاربر 1942. فقد كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 أقسى على أمريكا، وأشد وقعا، وأكثر ذلا لها من كارثة بيرل هاربر، سيما وأن أمريكا في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، أصبحت القوة العظمى الوحيدة في العالم بكل ما لهذه القوة من سطوة، وأنفة، وكبرياء، وهيبة عالمية. لذا، كانت كارثة الحادي عشر من سبتمبر 2001 أليمة جدا للعظيم الذي تعاظم على هذا النحو.

-4-

لكن الثروة النفطية التي يحتاجها الغرب والشرق الصناعي والتي تعد عصب حياته، ووقود تقدمه وازدهاره، هي التي أنقذتنا من الفناء. وهي كل ما نستطيع أن نقدمه للعالم، وليس في أيدينا أي إنجاز آخر. علما بأن هذه الثروة النفطية ليست من إنجازاتنا العلمية أو الصناعية، ولم تتكون بعرق جبيننا، بقدر ما هي صدفة تاريخية جيولوجية. فلا علم جديد لدينا نقدمه لهذا العالم، ولا صناعة، ولا زراعة نفيد بها هذا العالم، ولا تربية ولا تعليم لدينا،

بحيث يفد علينا طلبة العلم من كل فج عميق. فمن يأتينا الآن طلبا لعلمنا لا يجد لدينا غير كتب صفراء نجترها منذ مئات السنين، ونكررها لكل جيل حفظا وتلقينا فلا يفد إلينا إلا من أراد الالتحاق بمعاهدنا الدينية، التي لا تغني ولا تسمن من جوع. وهؤلاء يأتون إلينا من بعض دول جنوب شرقي آسيا، ويعودون لبلادهم ليصبحوا فقهاء يفتون بإرضاع الكبير، وبشرب بول الإبل، وببركات بول الرسول وعرق جسمه، الذي قيل إن النساء كن يتطيبن به، ويفضلنه على ((دهن العود))!

-5-

وهذه كلها من وسائل أسطرة شخصية الرسول وجعله شخصية أسطورية، أو (سوبرمان) لا يقارن ولا يقارع، رغم أن الرسول قال لنا: (إنما أنا بشر مثلكم). ولكن الفقهاء أبوا أن يكون الرسول بشرا مثلنا، وأصروا على أن يقدموه لنا وللأجيال القادمة على أنه أسطورة من أساطير الزمان، وأنه (سوبرمان) خارق عقليا، وفكريا، وجنسيا، وطبيا، وعسكريا، واقتصاديا، وقضائيا، وإداريا الخ. كما يقومون بإشغال بال وعقل الناس بأمور تافهة سطحية، وفيما لا ينفعهم، بل يلهيهم عن الخلق والابتكار والإبداع. ويتخذون من المرأة قضية كبرى يناطحون بها العصر الحالي والعصور المقبلة. ويصدرون ضدها الفتاوى الكاذبة والمزيفة المستندة على قرائن مجتمع بدائي، كان قائما قبل أربعة عشر قرنا، ولم يعد قائما الآن.

-6-

فدساتير وقوانين الأمم تتغير، وتتبدل، وتتعدل من حقبة لأخرى، والأمة التي لا تغير قوانينها وأنظمتها من حقبة لأخرى حسب احتياجات أفرادها المستجدة تتكلس، وتتحجر، وتلقى مصير الاندثار والزوال، حيث تصبح غير قابلة للحياة في العصر، وغير قادرة على الاستجابة لتحديات العصر وشروطه. فهي تعيش في هذه الحال في عصرين مختلفين متباعدين تباعدا كبيرا: عصر داخلي أو جواني، وعصر خارجي أو براني. عصر داخلي عبارة عن مجموعة من الأحكام والتقاليد الاجتماعية المتوارثة، وكانت سائدة قبل قرون طويلة، وأصبحت تاريخا يقرأ للتندر والتفكه، وليست منهاج حياة، لأن كل حياة في كل حقبة، تضع لنفسها منهاجا خاصا بها يلبي احتياجات الناس الذين يعيشون في هذه الحقبة. فلا حقبة تفرض أخلاقها ومسلكيات ناسها على حقبة أخرى.

-7-

إذن، نحن الآن واقعون تحت الحصار، حصار الإرهاب. ونقبع وراء سور عظيم، سور الإرهاب والإسلام السياسي، الذي أصبح طاغيا في الشارع العربي والإعلام العربي، بحيث أصبح رجل الدين في العالم العربي، هو صاحب النطق الأول والأخير، وهو الرجل الأول، وهو في المقام الأول، وصاحب الكلمة الأولى، والخطبة الأولى، والكرسي الأول، وفنجان القهوة الأول.

وأصبحت كلمة رجل الدين تغلق شارعا، وتفتح شارعا

وتغلق جريدة، وتطرد رئيس تحرير جريدة، ومدير محطة تلفزيون أو إذاعة، وتهدد وزراء الثقافة بالطرد والمحاكمة. وأصبح رجل الدين يصدر الفتاوى بقتل المثقفين والشعراء وحرق كتبهم، ودواوينهم، ونفيهم من بلادهم إلى بلاد الغرب، وإهدار دمائهم على شاشات الفضائيات.
وأصبح رجل الدين يقوم بهدر دم تيار كامل من الليبراليين العرب بمجرد فتوى شخصية كما فعل الشيخ السعودي صالح الفوزان. كما يقوم رجل دين آخر بهدر دم تيار كامل من العلمانيين العرب ورميهم بالكفر والإلحاد كما فعل الشيخ المصري/ القطري يوسف القرضاوي في كتابه (وجها لوجه.. الإسلام و العلمانية) ، دون أن يؤاخذ على ذلك، أو يحاسب من قبل الدولة، أو من قبل الرأي العام، أو منظمات حقوق الإنسان العربية التي من المفروض أن تدافع عن أصحاب الرأي الآخر. ففتوى هؤلاء وغيرهم من رجال الدين لا تحاسب ولا تعاقب.

-8-

وأصبح رجل الدين هو السياسي الأول - نتيجة لقصور وصغر عقل العربي - الذي بمجرد أن يرفع المصحف عاليا، تسقط كل الكتب الأخرى على الأرض، وتمزق وتداس بالأحذية. وبمجرد أن يرفع شعار ((الإسلام هو الحل)) تسقط جميع الشعارات العلمية السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.
ومن هنا أصبح الإسلام كدين، مهنة رابحة تدر على متلبسها

دخلا كبيرا أفضل من دخل مثيلاتها من الوظائف الأخرى التي يقضي من أجلها الطالب سنواته الأربع في الجامعة في كليات الدراسات الإنسانية. لذا، لم تنتشر المعاهد الدينية والجامعات الدينية في العالم العربي كما انتشرت في هذه الأيام. ولم يبلغ عدد طلاب الدراسات الدينية في العالم العربي كما بلغه هذه الأيام. ولم يتسابق الطلاب الخائبون في امتحان الشهادة الثانوية على الالتحاق بالمعاهد الدينية كي يصبحوا غدا من أصحاب الصولجان، وإلى يمين السلطان كما يتسابقون الآن. ولم نجد في العالم العربي هذا العدد الهائل من الدعاة والهداة من الشباب ومن الشيوخ، من ذوي العلم الشرعي، وممن تنكبوا العلم الشرعي، كما نجد الآن. ولم يصبح رجال الدين عموما من الشيوخ والشباب على هذا المقدار من الثروة الطائلة ورفاه العيش كما هم عليه الآن.

-9-

كل هذا قلناه في هذا الكتاب. بل وزدنا عليه بقولنا بأن كل هذه الصفوف الطويلة من رجال الدين في العالم العربي، وكل هذه الآلاف المؤلفة من العمائم واللحى الطويلة، الذين ملأوا الصحف والفضائيات، والإذاعات، والجوامع، والمؤتمرات، والندوات، والمنتديات، لم تصدر في يوم من الأيام الماضية وحتى الآن، فتوى واحدة لتكفير زعماء وقادة الحركات الإرهابية الذين قتلوا آلاف الأبرياء، وإهدار دمهم، بل هم على عكس ذلك. فقاموا بالمساهمة الفعالة في بناء سور العرب العظيم، لحجب العرب عن العالم،

وحجب العالم عن العرب، وذلك بتكفير الآخر، والمناداة بحربه، وبأن داره دار حرب، ومعاداته، وبتهديد مصالحه، وحرق سفنه، وهدم بيوته. كذلك قاموا بتمجيد زعماء الإرهاب. فأطلقوا على رأس الإرهابيين (سيف الإسلام)، و (شيخ الإسلام)، و (المجاهد الأكبر)، و(شيخ المجاهدين). وراحوا يدعون له سرا وعلانية بالنصر المبين، وسلامة اليمين، وصدق اليقين. ويمتنعون عن إصدار فتوى بإهدار دمه، رغم أنه قاتل، قام بقتل المئات من المسلمين، والمسيحيين، واليهود، والهندوس، والبوذيين، ومن كل ديانات الأرض والسماء الأبرياء، كما نرى ونسمع في هذه الأيام.

-10-

هذا الكتاب، يحوي عدة فصول ومقالات كلها تصب في هذه المعاني. ولعل الفصل الذي يمكن القارىء أن يعتبره خارج الموضوع هو فصل (الإرهاب والفن) والذي نتحدث فيه عن موجة الغناء والرقص الجديدين، اللذين يقوم بهما شباب وصبايا العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه.

ومبررنا لتضمين هذا الفصل في هذا الكتاب، اعتبارنا لهذا الفن الجديد وسيلة من وسائل جذب الشباب والشابات إلى الحياة، وابتعادهم عن الموت والنحر والانتحار الوحشي الذي نراه كل يوم وكل ساعة على شاشات الفضائيات. إن العشرة ملايين مشاهد الذين صوتوا لصالح الفنانة العراقية الشابة والواعدة، شذى حسون في برنامج ستار أكاديمي 4 لعام 2007، ظاهرة مهمة تصب

في صالح الحداثة والليبرالية العربية، وهدف قوي وموجع في مرمى الإرهاب، حيث لن يفكر أحد من هذه الملايين العشرة وغيرهم، بالانضمام يوما إلى عصابات الإرهابيين الانتحاريين المنتحرين مجانا
ومن هنا، كان اهتمامنا الثقافي والنقدي بهذه الموجة الجديدة من الغناء والرقص، التي تجتاح الآن العالم العربي، والتي هي دون شك موجة حداثية وليبرالية في العالم، ولو أن هذه الموجة قصيرة وناعمة في العالم العربي بسبب غول رجال الدين. وهكذا نكون من خلال الفن قد عانقنا الآخر بدلا من أن نحاربه، وسالمناه بدلا من أن نعاديه، وفكرنا فيه بدلا من أن نكفره، وتصالحنا معه بدلا من مخاصمته. ويكون الفن بذلك قد أصلح ما أفسده الإرهاب، وأطفأ نار الحقد بنور الحب.

شاكرالنابلسي

أسئلة الإرهاب

ما هو سور العرب العظيم؟

* النظرة المتأملة لحال العالم العربي في هذه الأيام لا تبشر بالخير كثيرا رغم تفاؤل المتفائلين، واستبشار المستبشرين، الناتج ربما عن هذا الزبد من الذهب المتدفق نتيجة لارتفاع أسعار البترول، وليس نتيجة لصناعة أو زراعة أو تجارة أو علم عربي. وما هذا بشحم وإنما ورم، فيمن تحسب شحمه ورما ، كما قال المتنبي.

الإرهاب سور العرب العظيم

يأتي التشاؤم من طغيان التيار الديني السياسي الإرهابي والاجتماعي والفكري في العالم العربي، الذي يشكل الآن سور العرب العظيم في وجه الليبرالية والحداثة ودعاتها، سواء اعترفنا أم أنكرنا، رضينا أم رفضنا. وهو يكتسح الشارع العربي بسرعة وبقوة، ويحقق مكاسب ملموسة على الأرض في العراق وفي مصر خاصة، وفي معظم أنحاء العالم العربي عامة. ويقف أمامه التيار الليبرالي صغيرا، وضعيفا، وبائسا، ومتناثرا

من هم بناة هذا السور؟

لقد كان للصين القديمة سورها العظيم لصد هجمات المعتدين. وأصبح للعرب في العصر الحديث سورهم العظيم الذي بناه التيار الديني لصد هجمات الليبرالية والحداثة المتدفقة من كل مكان.

التيار الديني الذي نعنيه في هذا المقام، والذي يشكل الآن (سور العرب العظيم) في وجه الحداثة ودعاتها، وبمؤازرة ودعم الأنظمة العربية، هو التيار الذي يمثله الإخوان المسلمون والأحزاب الدينية الصغيرة الأخرى في أنحاء العالم العربي كافة. وتمثله أيضا الجماعات الإسلاموية المسلحة في فلسطين والعراق ولبنان والجزائر والخليج العربي. وتمثله أيضا الهيئات الدينية الإسلامية الرسمية وغير الرسمية، والمشمولة برعاية بعض الأنظمة ماليا وسياسيا في العالم العربي. ويمثله رجال الدين من خارج المؤسسات الدينية الرسمية الحكومية من خطباء المساجد والفقهاء والدعاة ودراويش التكايا. وتمثله أيضا هذه المجموعات من الكتاب الإسلامويين الذين يملأون الصحافة والفضائيات بهذر مقولات أشبه بالقش، ولا تمت إلى واقعنا بصلة. وتمثله أيضا الجامعات والمعاهد الدينية وأساتذة وطلبة هذه الجامعات الذين يمنحون الشهادات العليا، إذ هم كفروا الليبراليين وأهدروا دمهم ودم الحداثة من بعدهم، ورموهم بالكفر والفسوق والزندقة (سعيد الغامدي، وكتابه (الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها)). ويمثله أيضا الإعلام العربي المكتوب والمشاهد والمسموع، والظاهر والخافي، والمباشر وغير المباشر، والذي ينتمي ماليا وسياسيا وأيديولوجيا إلى هذه الأنظمة التي مهما

أظهرت من حسن نوايا مؤقتة وفردية تجاه الليبراليين، فإنها تخفي نية صادقة وقوية للتخلص منهم ومن أفكارهم، باعتبارهم أدوات التنوير المستقبلي الحقيقية، والتي تشكل تهديدا حقيقيا لهذه الأنظمة.

ماذا بقي لليبراليين؟

فماذا بقي لليبراليين من قوة، ومن وسائل القوة؟

أنظروا حولكم أيها السادة، لتروا كيف بنى العرب سورهم العظيم في وجه الحداثة ودعاتها. وقد قام هذا البناء بإقدام بعض السلطات العربية على إغلاق مواقع الليبراليين في بلادها، وسجن دعاة الإصلاح السياسي، ورمي المعارضة السياسية بمختلف تهم الخيانة والارتهان والاستقواء بالخارج المعادي للإسلام. وبخنق صوت هذه المعارضة بالمال حينا، وذلك بشراء أكبر عدد من وسائل الإعلام العربية المؤثرة، وبالقتل حينا، وبسد أبواب المنابر أمامها حينا ثالثا بحيث لم يعد لهؤلاء من وسيلة إعلامية لكي يبلغوا كلمتهم غير مواقع محدودة وضيقة على الانترنت.

فماذا بقي لليبراليين من قوة، ومن وسائل القوة؟

السور العالي العظيم

التيار الديني الطاغي الآن في العالم العربي، والذي يقف سورا عظيما عاليا في وجه التقدم العربي والحداثة العربية، تيار قوي وجبار، وذو حجارة ضخمة، أكبر من حجارة الأهرامات، ومدعوم

بالمال الوفير، والسلاح الكثير، والجمهور الخفير. وارتفاع أسعار البترول على هذا النحو الجنوني في عامي ٢٠٠٦، و ٢٠٠٧، أدى بالدول البترولية الدينية في الشرق الأوسط من عربية وإسلامية إلى أن تكون كريمة وسخية في تمويلها للتيار الديني الرسمي وغير الرسمي، بدلا من أن تنشئ مواقع لليبراليين وللحداثة العربية لكي تبدأ في تغيير المجتمعات، من مجتمعات العصور الوسطى، إلى مجتمعات العصر الحديث، بكل قيمها الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والسياسية. والحق يقال، إن التيار الديني استغل هذه الأموال الطائلة في بناء قوته الذاتية الداخلية خير استغلال، من حيث دقة التنظيم، ومحاولة إحلال نفسه محل الدولة في الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية، مما أكسب هذا التيار تعاطفا شعبيا قويا في الشارع العربي من الصعب على قوة عظمى كأميركا أن تنافسه فيها. وقد ظهر هذا التعاطف في نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية والمصرية الأخيرة، التي لم يكن لأمريكا يد مباشرة فيها كما يزعم البعض، ولكن اليد الطولى كانت لحكومات عربية نفطية غنية هي التي ضغطت على النظام المصري مثلا بالمال، لكي يتيح هامشا من الحريات لهذه الجماعة لكي تفوز هذا الفوز الكبير، وتحل محل قوى اليسار والحداثة السياسية المصرية الطالعة، وتهزمها شر هزيمة بالمال الوفير، والتنظيم الدقيق، وبالصدقية الفعلية على أرض الواقع المصري. وكذلك فعلت دول إسلامية نفطية في فلسطين. وهذا ما حصل.
فماذا بقي لليبراليين من قوة، ومن وسائل القوة؟

التنكيل بالليبراليين

في المقابل، فالليبراليون تعرضوا للطرد من الحلبة، وللجوع، والتشرد، والنفي من الأوطان.

ألم نرهم ينتشرون في شتات الأرض، بعيدا عن أوطانهم، وديارهم، وجمهورهم؟

ألم نر المنابر العربية المكتوبة والمشاهدة والمسموعة والاليكترونية، وقد سدت في وجوههم، ولم يبق لهم غير منابر قليلة جدا على الانترنت، يتحركون من خلالها حراك السلاحف المتثاقلة؟

ألم نر كيف أن بعض الأنظمة العربية تغض النظر عن المواقع الدينية المنتشرة كالفطر على الانترنت، والتي تبشر بالجهاد والإرهاب الفكري، وكراهية الآخر، وتغلق مواقع الليبراليين الواحد تلو الآخر، أو تحجبها، قصاصا لهم وعقابا على ما يفكرون، ويكتبون، وينشرون، وهم الذين وقفوا وحدهم وبشجاعة متناهية، ضد موجات الإرهاب، ودافعوا عن الحرية والديمقراطية في كل مكان من العالم العربي.

ألم نر كيف كبلت الأنظمة العربية الليبراليين، وتركت الحبل على الغارب للدينيين على مختلف مشاربهم واتجاهاتهم، والذين سرعان ما ينقلبون على هذه الأنظمة، ويحاولون الإطاحة بها، واغتيال زعمائها. ولنا من اغتيال السادات وقصته مع الجماعات الدينية الدرس المفيد للطالب الرشيد.

الأبواب المغلقة

إذن، فأبواب التغيير في العالم العربي تكاد تكون مغلقة، والطرق تكاد تكون مسدودة، أمام الحداثة، وأمام دعوة الليبراليين، بهذا السور العظيم الذي ساهمت في بنائه بعض الأنظمة العربية، والأحزاب الدينية، والقوى الدينية في العالم العربي، إضافة إلى الشارع العربي الفاقد الثقة بهذه الأنظمة، والمتأمل خيرا كبيرا وكثيرا من القوى الدينية كحل أخير ووحيد لأزمة العرب السياسية والاقتصادية، والمتمثل بشعار (الإسلام هو الحل). ولا ندري هل الحل سيكون في الإسلام فعلا، أم في الإسلامويين؟

فهل على الليبراليين أن (يضبضبوا) أمتعتهم ويرحلوا، ويكفوا عن الكلام، بانتظار عهد أمريكي جديد ينسى ما حصل له في العراق، ويكرر (الفيلم العراقي) في نظام ديكتاتوري عربي جديد؟

وهل يمكن أن يتكرر (الفيلم العراقي) في بلد عربي آخر، بعد أن خسرت أمريكا في العراق هذه المليارات الكثيرة، والتي قالت دراسة نشرت نتائجها في ٢٠٠٦/١/٢ إن تكاليف حرب العراق قد تتخطى تريليوني دولار. وهو ما يفوق كثيرا تقديرات البيت الأبيض قبل الحرب، إذا تم تضمينها نفقات على المدى الطويل، مثل الرعاية الصحية لمدى الحياة لآلاف الجنود الأمريكيين الجرحى.

سد منيع

من سوء حظ الليبراليين العرب أنهم يقفون في وجه أكثر من

عشرين نظاما عربيا فاسدا، ويحاربون على عشرين جبهة، وليس على جبهة واحدة. في حين أن التيار الديني يحارب على جبهة واحدة فقط وهي جبهة الليبرالية والحداثة.

ومن سوء حظ الليبراليين العرب أن لا أحد في العالم العربي يرغب في حمايتهم وتبنيهم، بل إن الجميع يهربون منهم، ويتبرأون منهم، وكأنهم موبوءون وباء الكلاب بداء الجرب.

فلا يوجد في العالم العربي أسرة كأسرة مديشي Medici الإيطالية الغنية الحاكمة، التي رعت وحمت غاليلو (١٥٦٤-١٦٤٢) من تسلط الكنيسة وإرهابها.

ولا يوجد في العالم العربي أسرة كأسرة كافنديش Cavendish في دوفينشاير في بريطانيا، يحتمي في ظلها مفكرو الليبرالية العربية، كما احتمى التنويري الأوروبي الفيلسوف البريطاني توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩).

ولا يوجد في العالم العربي مركيزة كالمركيزة الفرنسية مدام دي بومبادور التي حمت فولتير من أعداء فكره ومضطهديه، والتي أجرت راتبا لمونتسيكو وروسو. وكان في فرنسا عشرات الصالونات وعشرات الماركيزات من هذا القبيل.

ما العمل؟

لو قرأنا تاريخ حركات التنوير الأوروبية في القرن السابع والثامن عشر، لوجدنا أن حال أوروبا في تلك الحقبة التاريخية، كانت أشبه بحال العالم العربي الآن من حيث بناء سور ديني

ضخم من قبل الكنيسة في وجه الحداثة والتنوير ودعاته، ليصد هجمات الليبراليين وفرسان التنوير، الذين أضاءوا العقل الأوروبي فيما بعد، وكانوا سببا في نهضة أوروبا الحديثة.

فقد أحرقت إنجلترا الكتب، وشهرت بالكتاب المعادين للكنيسة. وفي ١٧٢٣ أصدرت فرنسا قانونا يحرم طبع الكتب إلا بإذن ملكي خاص. وفي ١٧٥٧ صدر مرسوم فرنسي يقضي بالموت على كل من يكتب كتابا ضد الكنيسة. وكان الكتاب الفرنسيون يلجأون إلى نشر كتبهم في امستردام ولاهاي كما يلجأ الكتاب العرب اليوم إلى نشر كتبهم في باريس ولندن وكولون. وكان البريطانيون يعلقون على أبواب منازلهم عبارة (لا يوجد لدينا فلاسفة)، خوفا من الكنيسة. وكانت كتب فولتير، وروسو، وديدرو، وهلفتيوس، ودولباخ، ولامتري وغيرهم من الكتاب الليبراليين التنويريين في قائمة الكتب المحرمة التي لا يسمح بقراءتها إلا بإذن خاص من البابا نفسه (ول ديورانت، قصة الحضارة، جزء٤٠، ص ١٧٠).

فأوروبا الحديثة لم تكن نتاجا للكنيسة، ولا للقساوسة، والرهبان.

والعالم العربي الحديث، لن يكون نتاجا للفقهاء ولكن للخبراء.

صناع أوروبا الحديثة هم الكتاب والمفكرون الليبراليون الحداثيون، الذي وقفوا أمام السور الضخم والعريض والعالي الذي بنته الهيئات الكنسية، وظلوا يحفرون بأظافرهم وأسنانهم في

جدران هذا السور حتى قوضوه وأزالوه، وزرعوا في أرضه فسائل التنوير والحداثة التي كبرت وبسقت، وأنبتت النهضة الأوروبية الحديثة.

ما هو المطلوب من الليبراليين؟

مطلوب من الليبراليين العرب أن لا ييأسوا، وأن لا يستقيلوا، وأن لا يهربوا كما هرب البعض تحت أول تهديد من الإرهابيين. ولو فعل الليبراليون الأوروبيون ذلك لظلت أوروبا تعيش حتى الآن في ظلام القرون الوسطى كما نعيش نحن الآن، رغم كل هذه الأبهة والزخارف القشرية المزيفة التي نحيط بها حياتنا، والتي نعتبرها من الحداثة والتمدن، وهي في واقع الأمر من القدامة المطلية بماء الذهب، وسوف تكشف عن صدأنا وصدأ رؤوسنا في المستقبل القريب، بعد أن تزول القشرة، وينكشف المستور.

مطلوب من الليبراليين العرب الحفر بأظفارهم في سور العرب العظيم، حتى يهدموه.

مطلوب من الليبراليين العرب أن يظلوا مستمرين في قرع الأبواب العالية برؤوسهم وبقوة، حتى يستجاب لهم، وتفتح لهم أبواب سور العرب العظيم، ولو بعد حين.

فاقرعوا يفتح لكم.

هل الإرهاب ضرورة تاريخية للتغيير؟

* لا شك في أن تصاعد موجات الإرهاب في الفترة السابقة، قد أقلق العالم كله، ووضع العالم في حالة الإنذار المبكر، كما وضع العالم العربي فوق سطح صفيح ساخن.

أسئلة كثيرة
فهل كنا بحاجة إلى كل هذا الإرهاب، وإلى أن نوضع فوق سطح صفيح ساخن، كي نستفيق من النوم الطويل الذي كان يغرق فيه العالم العربي، وهو ما يسمى بـ (نوم الخبل)؛ أي النوم غير الصحي الذي يلجأ إليه من أثقلته الهموم، ونزلت به الكوارث، هروبا من التفكير بهذه الهموم، أو التصدي لهذه الكوارث؟
وهل كان العالم العربي بحاجة إلى كل هذا الإرهاب لكي يدرك ضرورة المرحلة التاريخية التي يعيشها الآن، والتي تتغير فيها القيم السياسية العربية، وتتبدل القيم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية العربية؟
وهل كان العالم العربي لا ينتظر أبدا، ولا يتوقع مطلقا أن ترتفع وتيرة الإرهاب في العالم العربي إلى هذا الحد الذي نراه

الآن، حتى ولو لم يكن هناك ما عرف بـ (العربان الأفغان) أو (غربان الشيطان)، وحتى لو لم ترتكب إسرائيل مجازرها في غزة والضفة الغربية، وحتى ولو لم يسقط واحد من الأنظمة الديكتاتورية العاتية في العالم العربي؟

وهل كان العالم العربي لا ينتظر أبدا، ولا يتوقع مطلقا أن ترتفع وتيرة الإرهاب في العالم العربي على هذا النحو الذي نراه الآن، حتى ولو لم تصبح القوات الأمريكية على حدود سوريا وإيران والسعودية والأردن والكويت، بحيث أصبح الكون الأمريكي بكل قيمه وخطاباته أقرب إلى العرب من العرب أنفسهم؟

ثم لماذا كل هذا العجب، وهذا الاستغراب، وهذا الشعور بالمفاجأة من ازدياد حدة وتيرة الإرهاب في العالم العربي، والعالم العربي منذ عشيات الاستقلال (لم يكن هناك استقلال بقدر ما كان هناك انسحاب للقوات الأجنبية، وإعادة انتشار لها. وظل العالم العربي منذ ذلك التاريخ وإلى الآن موثوقا بالعجلة الغربية اقتصاديا وسياسيا وعسكريا) ١٩٤٣ وحتى الآن، وهو يعيش ويتعايش مع (الإرهاب الجميل) أو (الإرهاب الرسمي)؛ أي إرهاب الدولة التسلطية الاستبدادية لمواطنيها؟

ألم يكن إرهاب الدولة العربية المستقلة حديثا ذات النظام البوليسي والقاتلة لأبنائها والملتهمة لأطفالها، هو الإرهاب المقنع بعينه؟

فإرهاب الأفراد والجماعات لا يختلف عن إرهاب الحكومات، بل هو أسوأ منها، حيث يقود إلى التعاطف الزائف معه، كما قال

المهاتما غاندي (جريدة الهند الفتية، ١٩٢٤).

أليس إرهاب الدولة العربية التسلطية الذي بدأ بعد عشيات الاستقلال، وتولى فيه الجلادون الحكم (الذين يظهرون اليوم بمظهر ضحايا المؤامرة الأمريكية والغربية) في العالم العربي هو الإرهاب بعينه؟

يقول عالم السياسة حنه آرندت في كتابه (في العنف، ١٩٧٠) إن (موجات الإرهاب تصل إلى أعلى درجاتها عندما تبدأ الدولة البوليسية تلتهم أطفالها، وعندما يصبح جلاد البارحة ضحية اليوم).

ألم يصبح صدام حسين - مثالا لا حصرا- جلاد الأمس، ضحية اليوم في مرآة حزب البعث والأصوليين الإرهابيين من العرب والعجم؟ ويؤيد هذا، الروائي جوزيف كونراد في روايته الشهيرة (المخبر السري، ١٩٠٧) بقوله (الإرهابي ورجل البوليس جاءا من سلة واحدة). ولعل بعض أجزاء من العالم العربي تذكرنا بما كان يسود من أنظمة سياسية عسكرية ديكتاتورية في أمريكا اللاتينية، وخاصة في الأرجنتين حيث كان الإرهابيون بملابس عسكرية، حالهم كحال بعض الحكام العرب كما يقول لنا ستيفن كنـزار في كتابه (عذاب الأرجنتين، ١٩٧٨).

ألم يحفظ الديكتاتوريون العرب قول هتلر في (صوت التدمير، ١٩٤٠) من أن الإرهاب أقوى سلاح سياسي. ومن أنه لن يسمح للرايخ الثالث بالزوال لأن مجموعة من الأغبياء تنتقد الإرهاب؟

ألم يحفظ الديكتاتوريون العرب قول موسوليني الفاشي في

خطاب له ١٩١٤/١٢/١٣، بأن (الدم وحده هو الذي يدير عجلات التاريخ)؟

الإرهاب ليس مشكلة ولكنه نتيجة لمشكلة

كان لا بد من أن يظهر الإرهاب في العالم العربي على هذا النحو الذي نشهده الآن، بل كان من المنتظر أن يظهر أشد قسوة وشراسة!

فالإرهاب ليس هو المشكلة، ولكنه نتيجة لمشكلة.

ومشكلة العالم العربي بعد الاستقلال كانت (حكم الاستغلال).

ولقد كان الإرهاب قائما في الجسم العربي كالفيروس الذي يحتاج إلى بيئة مناسبة لكي يظهر ويطفح كبثور الحصبة على الجسم العربي. والفيروس هو الضعيف القوي. فالإرهاب هو سلاح الضعفاء وليس سلاح الأقوياء،كما قال المهاتما غاندي (جريدة الهند الفتية، ١٩٢٠). وأن هذا الفيروس كان في بيات طوال الفترة السابقة منذ عشيات الاستقلال حتى الآن، وتولي أبطال الاستغلال بعد الاستقلال الحكم في أجزاء من العالم العربي. وتكونت فايروسات هذا الإرهاب الذي كان ليس نتاجا للقوة، ولكنه دليل على غياب القوة، كما يقول رالف اندرسون. وغياب القوة هذا - الذي أتاح لفيروسات الإرهاب بالظهور كالطفح الجلدي في العالم العربي على هذا النحو الذي نشهده الآن - هو غياب قوة العدالة، وغياب قوة الديمقراطية، وغياب قوة الثقافة، وغياب قوة

القيم الإنسانية، وغياب قوة التغيير. فيما اعتبر البعض أن الإرهاب هو التغيير، وهذا صحيح. ولكن هذا الإرهاب يمكن أن يغير العالم العربي إلى عالم أكثر عنفا مما مضى.
لقد سبق لمارك توين أن صنف الإرهاب إلى نوعين : النوع الأول، يرتكب الجريمة بالعواطف الجياشة حوله. والنوع الثاني، يرتكب الجريمة بدم بارد. والإرهاب الموجود في العالم العربي الآن هو من النوع الأول الذي يرتكب الجرائم بعواطف جياشة يبديها الإعلام العربي والكتاب العرب ورجال الدين العرب والسياسيون العرب. وتكون هذه العواطف الجياشة مصحوبة بالدعاء إلى اللـه أن يبارك الإرهابيين ويسدد خطاهم. فهل بعد هذه الأمراض في العالم العربي توجد أمراض فتاكة أخرى يمكن أن تصيب جسم أمة من الأمم في مطلع الألفية الثالثة، وفي عصر الانترنت والعولمة والعلمانية وغزو الفضاء وانهيار الديكتاتوريات العربية والغربية، وانتهاء الحرب الباردة.. الخ؟
ويجب أن لا يغيب عن بالنا بأن الإرهاب في معظمه إنجاز عربي بكل فخر واعتزاز. وأن كثيرا من الكتاب والمثقفين العرب يعتبرون الإرهاب وضحاياه أهم ما أنجزه العرب وقدموه للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين، ومطلع القرن الحادي والعشرين.

حتى الإرهاب لم يوقظنا من سباتنا العميق
الإرهاب، ككل كارثة سياسية أو طبيعية أو عسكرية في العالم، حلت بالشعوب على مر التاريخ، فأيقظت بعضا ممن كان

ينتظر الفجر بفارغ الصبر، ولم تستطع إيقاظ البعض الآخر ممن كان نومه ثقيلا، وسباته عميقا، وشخيره عاليا فالقنبلة النووية مثلا التي ألقتها أمريكا في ١٩٤٥/٨/٦ على هيروشيما لكي ترهب بها الشعب الياباني وقوته العسكرية، أيقظت الشعب الياباني من سباته العميق، في ليل العسكرتاريا الطويل والحالك، وجعلته يفكر جيدا بما عليه أن يفعل في المستقبل. والنكبة الفلسطينية مثلا، وإرهاب (الهيجاناه) الإسرائيلية ومنظمة (شتيرن) والجيش الإسرائيلي، وما تبعها من حروب دامية مع اسرائيل وعلى رأسها حرب ١٩٦٧.. كل هذه النكبات التي حلت بالعالم العربي منذ أكثر من نصف قرن لم تستطع إيقاظ الشعب العربي من سباته الطويل، وتضع أمام ناظريه التغيرات السياسية والدولية التي حدثت في العالم، وضرورة الاستجابة لها.

فهل يمكن للإرهاب الدائر الآن في العالم العربي، والنابع منه، والمصدر إلى العالم بمباركة بعض فقهاء الدين وبأختامهم الشرعية، أن يكون المؤذن الذي يؤذن لصلاة فجر الحرية والديمقراطية والتغيير في العالم العربي؟

هل الدم هو الزيت المضيء؟

معظم راصدي وقارئي ومحللي التاريخ الإنساني، قالوا بأن التغيرات المهمة في العالم كان وراءها العنف (هنري كيسنجر في كتابه (الديبلوماسية) ١٩٩٤). وكان الدم هو الزيت المضيء لفجر الأمم، كما كان يعتقد كثير من الساسة وعلى رأسهم الرئيس

الأمريكي روزفلت، الذي كان يقول في رسالة لصديقه نشرها كيسنجر في كتابه : (لو خيرت بين الدم والحديد أو الماء والحليب، لاخترت الدم والحديد. فهما ليسا خيرا للأمة فقط، ولكن للعالم على المدى البعيد). كما يؤكد بعض القادة التاريخيين كالزعيم الصيني ماوتسي تونغ، بأن التجربة التاريخية كتبت بالحديد والدم.

كتب المناضل والمفكر المارتينيكي- الجزائري فرانز فانون في كتابه الشهير (المعذبون في الأرض، ١٩٦١) يقول: (العنف هو القوة المطهرة التي تحرر المواطن من عقدة الخوف واليأس والسلبية). وقد رأينا صدق هذا الكلام على أرض الواقع في العراق في يناير ٢٠٠٥ أثناء الانتخابات التشريعية، حين نزل إلى الشارع العراقي ثمانية ملايين ناخب، يتحدون الخوف والموت واليأس والإرهاب، واقترعوا لاختيار نواب الجمعية الوطنية العراقية التي كتبت دستور العراق الجديد. كما رأينا ذلك في لبنان في ٢٠٠٥/٣/١٤ في ساحة الشهداء في بيروت، عندما تجمع أكثر من مليون شاب وفتاة، يطالبون بانسحاب القوات السورية من بلادهم، وبكشف قتلة رفيق الحريري، وإقامة حكم ديمقراطي، وتشريع قانون انتخابات جديد، رغم كل العنف والإرهاب والقتل الذي مارسته القوات السورية وحلفاؤها في لبنان طيلة ٢٩ عاما

فهل تكون مرحلة الإرهاب الآن هي المطهر Purgatory العربي، الذي سيغسل آثام العرب في الماضي والحاضر وينقيهم، وينقلهم من المرحلة المتوسطة بين البداوة والحضارة التي هم فيها الآن، إلى مرحلة الحضارة والتحضر، ليس باللباس والشراب

واستعمال منجزات الصناعة الغربية، ولكن بالقيم والسلوك والتطبيق، وبفهم ماذا تغير في العالم، وكيف يجب علينا أن نعيش، وأن نتعايش مع المجتمع الدولي؟

وهل سيكون الإرهاب القائم في العالم العربي، بمثابة القنبلة النووية الدينية الأصولية التي ألقاها العرب على أنفسهم، حين لم يجدوا من يلقيها عليهم، كما فعلت أمريكا باليابان ١٩٤٥، لكي يصحوا النيام من سباتهم العميق، وقد فاتتهم قطارات كثيرة، أهمها قطار الإصلاح السياسي، والحداثة، والإصلاح الاجتماعي، والسلام.. الخ؟

فهل يصدق علينا قول المصلح الديني مارتن لوثر في القرن السادس عشر من أن لا تاريخ جديدا يبنى بدون دم، وأن السيف المدني يجب أن يكون أحمر دمويا؟

وهل تغير العرب في القرن السابع الميلادي، وانتقلوا تلك النقلة، أو القفزة التاريخية الكبيرة من قبائل شتى إلى أمة موحدة، تطورت إلى أن أصبحت إمبراطورية عظمى بغير السيف والدم؟

وهل يدفع العراق اليوم حساب تكلفة الفجر العربي الجديد المنتظر، نيابة عن الأمة العربية؟

هل قاد إخفاق العلمانية إلى الإرهاب؟

* الإرهاب مرض من الأمراض، يصيب الأمة في طور من أطوارها. وهو كذلك كأي مرض يصيب الإنسان في طور من أطواره أيضا وكما أنه لا يوجد لمعظم الأمراض الصحية والنفسية والعصبية سبب واحد، وإنما هناك عدة أسباب لمثل هذه الأمراض، فكذلك الحال بالنسبة لمرض الإرهاب. ففي مرحلة من المراحل، يمكن للإرهاب أن ينتج عن هشاشة الثقافة، ويمكن أن يكون نتيجة لظروف اقتصادية، واجتماعية معينة. فهل ارتفاع وتيرة الإرهاب في العالم العربي هذه الأيام، يمكن أن يكون نتيجة حتمية لإخفاق تحقق العلمانية ؟

العقل والحياة السياسية

في العالم العربي، مثلا، لا يوجد توافق بنيوي تام وكامل - كما تم في الغرب - بين تطور العقل العربي من جانب، وبين تطور الحياة السياسية والاجتماعية، بالإضافة إلى تطور الفكر النظري السياسي من جانب آخر. فميلاد المفاهيم السياسية العربية

الحديثة لم يكن نتيجة لتحول واضح وملموس في الوجود والواقع السياسي العربي، حيث إن ظهور هذه المفاهيم لم يكن بمثابة إعلان القطيعة مع (عصر الانحطاط)، وإعلان الدخول في (العالم الجديد)، ولكن هذه المفاهيم جاءت نتيجة لتلاقح جزئي على مستوى النخبة الفكرية الأكاديمية، وليس على مستوى النخبة السياسية الحاكمة. وقد نشأ عن هذا أزمة ديمقراطية، بدأت من مسألة الشراكة الممكنة بين الحاكم والمحكوم في تقرير السياسة. وبدأت من فكر العامة ولم تنته في فكر الخاصة. ففي فكر العامة تغيب السياسة كمحظور، ويحكى عنها كمحرم مقبول شعبيا، كقولهم (السياسة كناسة)، و(السياسة وجع راس)، و(من دخل السياسة غرق في النجاسة).. الخ.

مشكلتنا التخلف لا الفقر

في ظل موجة العقلانية، التي بدأت تجتاح العالم العربي في نهاية التسعينات، ونحن نودع القرن العشرين الذي انفجرت في نهايته ثورة المعلومات، وشهدت فيه البشرية ثورة التكنولوجيا، بدأ بعض المفكرين العرب يضعون أصابعهم على مواطن الداء الحقيقي الذي يعيق تحقيق الوحدة العربية، وهو داء التخلف، وليس الفقر.

فبعضنا أغنياء متخلفون، ومعظمنا فقراء متخلفون. إذن: فكلنا متخلفون، وليس كلنا فقراء. والفقر لا يعني دائما التخلف، كما أن الغنى لا يعني دائما التقدم. فبلد كالهند مثلا تعد من الفقراء المتقدمين علميا، وكذلك الصين. فهناك وحدة مع الفقر،

ولكن لا وحدة مع التخلف. وما اتحدت أمريكا مثلا، إلا بالنور الذي جاء به الأوروبيون من أوروبا، ذات التنوير والإصلاح الديني، والثورة الصناعية، والثورة العلمية، والاكتشافات المذهلة في القرن الثامن عشر، والقرن التاسع عشر. وما الوحدة التي حققتها أوروبا في نهاية هذا القرن إلا نتيجة لهذا كله، ونتيجة لعصر ثورة التكنولوجيا والمعلومات، ولم تأت من فراغ.
أما نحن، فما زلنا مجتمعات متخلفة، وشعوبنا مذلة مستعبدة، تحكمها أنظمة استبدادية فردية شمولية، وقوانا وحركاتنا السياسية متخلفة وقاصرة.

انغلاق المفكرين الإسلاميين

إن عدم تحقيق العلمانية العربية، في فترة النصف الثاني من القرن العشرين، وسقوط عصر النهضة في التيه الفكري، كان سببه أن المفكرين الإسلاميين الذين كانوا يتجادلون مع المفكرين العلمانيين، لم يكونوا على مستوى وعي وثقافة المفكرين العلمانيين، الذين درس معظمهم في جامعات غربية، ومكث بعضهم في الغرب يتعلم ويدرس في جامعات الغرب، مما مكنهم من الاطلاع أكثر فأكثر على فكر العلمانية الغربية، ومكنهم من أن يتزودوا بزاد حديث ومتتابع من الثقافة الفكرية الغربية، الخاصة بمسألة العلمانية. في حين أن كثيرا من المفكرين الإسلاميين انغلقوا على أنفسهم، وحصروا جدلهم، طوال نصف قرن، في زاوية مقولة إن الإسلام دين ودولة، والتي أطلقها حسن البنا في

النصف الأول من هذا القرن. وهذه حقيقة وليست تهمة للمفكرين الإسلاميين، بحيث أن الشيخ راشد الغنوشي يثبتها، ويدلل على انغلاق الباحثين الإسلاميين على أنفسهم وتراثهم بقوله: (إنه لمحزن جدا، أن لا نعثر من بين قائمة طويلة لمراجع كتاب، أو بحث إسلامي، على مرجع واحد، من غير المدرسة التي ينتمي إليها الباحث. أما مكتبات الحزبيين الإسلاميين، فنادرا ما تتوفر فيها مصادر من خارج الحزب، أو المذهب). (مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني، ص١٩٠). فكان الحوار بين المثقفين العلمانيين والمثقفين الدينيين، كحوار طرشان. لا فريق يفهم ما يقوله الفريق الآخر.

الفهم الخاطئ

يقول الباحث اللبناني عادل ضاهر، عن طريقة فهم رجال الدين للعلمانية، بأنه فهم خاطئ (تمليه اعتبارات أيديولوجية، أكثر مما تمليه الرغبة في الوصول إلى فض المكنون الجوهري لمفهوم العلمانية. والدافع الأساسي لهؤلاء المفكرين، هو الحفاظ على مقولة إن الإسلام دين ودولة، بحكم طبيعته. ولذلك كان ضروريا لهم أن يفترضوا أمرين:

الأول، هو أن العلمانية في جوهرها رفض للدولة الدينية، في الغرب المسيحي.

والثاني، هو أن الإسلام، بما هو دين ودولة، لا يحمل في طياته مفهوم الدولة الدينية، ولا أي مكون من مكوناتها، بل

العكس تماما هو الصحيح) (الأسس الفلسفية للعلمانية، ص٤٢،٤٣).
والعلمانية ليست كلها فصل الدين عن الدولة، كما يفهمها كثير من الإسلاميين، بقدر ما هي إبعاد رجال الدين عن السياسة، وذلك من خلال نظام سياسي واجتماعي وثقافي واقتصادي متكامل. وحوار الطرشان هذا بين المفكرين الإسلاميين وبين المفكرين العلمانيين، كان من أسبابه أن الحركات الإسلامية، تعتبر نفسها هي الإسلام، وأن هزيمتها الفكرية والسياسية، هي هزيمة للفكر الإسلامي وللدولة الإسلامية. وأن من يكره هذه الحركات فإنما يكره الإسلام ذاته، كما يقول راشد الغنوشي (مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني، ص١٩٦)، وهو ما أدى بالتالي إلى تسفيه لبعضهم بعضا، وقطيعة، وتوقف، وطريق مسدود إلى حد ما.

أسباب فشل العلمانية

إن من أسباب عدم تقدم العلمانية في العالم العربي، فهم اليمين الإسلامي لها فهما خاطئا، وتشويه هذا الفهم، وتعميم هذا التشويه بين صفوف المسلمين لكي يقاوموا العلمانية، ويبقى صدر المجلس السياسي محفوظا لرجال المؤسسة الدينية. فهـم يقولون إن العلمانية Secularism معناها العربي والغربي (لا ديني) كما قال أنور الجندي في كتابه (سقوط العلمانية، ص٧). في حين أن معناها الحرفي (الزمني)، حتى إن بعض المفكرين المعاصرين،

ومنهم فؤاد زكريا، ترجموها بـ (الزمانية). وبعض رجال الدين يريدون من وراء هذا الفهم الخاطئ والمقصود للعلمانية، تأليب الشارع الإسلامي والعربي على العلمانية، التي إن طبقت تماما في العالم العربي، سلبت رجال المؤسسة الدينية كثيرا من امتيازاتهم الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والمالية.

إغلاق باب الاجتهاد

كذلك، فإن من أسباب فشل تحقيق العلمانية في مجتمع كالمجتمع العربي الآن، تأتى من إغلاق أبواب الاجتهاد، حيث قال الإسلاميون: (إن ما أغلقه السلف لا يفتحه الخلف). وإن القرآن موجود، وهو يحتوي على كل ما نريد ونبغي، ولا داعي لاستيراد أفكار غربية ليست من ثوبنا، وليست من عاداتنا وتقاليدنا. لذا، سوف يستغرق تحقيق العلمانية زمنا طويلا في مجتمع كالمجتمع العربي، يخيم عليه طقس أيديولوجي غائم، وتسيطر عليه الجماعات الإسلامية السياسية التي تستعمل الدين كمتراس تحتمي وراءه، اتقاء من كل ما يوجه إليها من نقد ومقاومة.

هل كل هذا يبرر الإرهاب؟

لا يبدو فشل تحقيق العلمانية في العالم العربي حتى الآن مبررا لرفع وتيرة الإرهاب، في العالم العربي، على هذا النحو. ولكن لو قرأنا بعمق، في خطابات الجماعات الإسلاموية عموما، لرأينا أن هذا العداء المستحكم للحداثة وللغرب بشكل عام، ناجم

عن هذا الغرب وهذه الحداثة، التي تريد بناء دولة عربية جديدة، لا يكون لرجال الدين دور سياسي فيها، مما يعني عزل هذه الجماعات، وليس الإسلام، عن الحكم. وبالتالي، فإن هذه الجماعات (تجاهد) الآن ليس من أجل الإسلام، ولكن من أجل عدم عزلها عن الحياة السياسية. وهو ما يبرر - ربما- ارتفاع وتيرة الإرهاب، أو (الجهاد) كما هو في القاموس السياسي لهؤلاء.

هل علاقة الإرهاب بالتعليم الديني خرافة؟

* هناك رأي غربي مبني على مسح اجتماعي علمي وواقعي يقول، بأن لا تأثير كبيرا على الإرهاب من التعليم الديني. فقد كتب بيتر بيرجن (زميل في مؤسسة أمريكا الجديدة) وسواتي بانيد (باحثة مشاركة في المؤسسة نفسها)، يقولان: للتأكد من مدى إسهام المدارس الدينية التقليدية في تفريخ الإرهابيين، قمنا بدراسة المسار الدراسي لخمسة وسبعين إرهابيا من الذي نفذوا أهم الهجمات الإرهابية ضد الغرب في الآونة الأخيرة.

إرهابيون متعلمون

ويتابع هذان الباحثان بقولهما: (وقد وجدنا أن معظم هؤلاء الإرهابيين الذين خضعوا للدراسة حصلوا على شهادات جامعية خصوصا في المواد التقنية كالهندسة. وفي الهجمات الأربع التي نتوفر فيها على معلومات وافية عن المستويات الدراسية لمنفذي تلك العمليات، وهي على التوالي: تفجير مركز التجارة العالمي في ١٩٩٣، والاعتداءات على السفارتين الأميركيتين في كينيا وتنزانيا في ١٩٩٨ وهجمات ١١ سبتمبر، ثم تفجيرات بالي سنة ٢٠٠٢،

وجدنا أن ٥٣ % من الإرهابيين قد درسوا في الجامعة، أو حصلوا منها على شهادات. ويذكر أنه ٥٢%
فقط من الأميركيين يلتحقون بالجامعات، وهو ما يدفعنا للاعتقاد، بأن هؤلاء الإرهابيين الذين شملتهم
الدراسة لا يقلون في المتوسط عن العديد من الأميركيين فيما يخص المستوى الدراسي).

ويتابع هذان الباحثان بقولهما: (إذا نظرنا عن كثب إلى الهجمات الإرهابية سنجد أن جميع الإرهابيين
الإثني عشر الضالعين في تفجير مركز التجارة العالمي في ١٩٩٣ حصلوا على شهادات جامعية. كما أن جميع
الطيارين الذين شاركوا في هجمات ١١ سبتمبر٢٠٠١ بالإضافة إلى المخططين الآخرين الذين كشفت عنهم
لجنة التحقيق في تلك الأحداث، تخرجوا من الجامعات الغربية، وهو مسعى لا تسلكه إلا النخب في
الشرق الأوسط. والأكثر من ذلك تفاجؤنا التحقيقات بأن محمد عطا، وهو الطيار الرئيسي المسؤول عن
هجمات ١١ سبتمبر حاصل على شهادة من جامعة ألمانية في تخصص الصيانة المدنية، بينما سبق لخالد
الشيخ مخطط عمليات ١١ سبتمبر أن درس الهندسة في جامعة كارولينا الشمالية. وزادت دهشتنا أكثر
عندما اكتشفنا أن ثلثي الإرهابيين الذين قاموا باختطاف الطائرات في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وتفجيرها، سبق
وأن التحقوا بالجامعات.)

ويقول هذان الباحثان: (من ضمن ٧٥ إرهابيا خضعوا للدراسة التي شملت مسارهم الدراسي، لم نعثر
سوى على تسعة إرهابيين ممن درسوا في المدارس الدينية، وهم لم يشاركوا إلا في عملية

واحدة نفذت في بالي. ولن نندهش إذا عرفنا أنه حتى هذا الاعتداء كان وراءه مخططون حصلوا على شهادات جامعية، بمن فيهم محاضران في الجامعة.)

ويستفيض هذا الباحثان في الشرح فيقولان: (وربما يرجع سبب الركون إلى تلك الفرضية القائلة، إن المدارس الدينية تشكل محاضن لتفريخ أجيال من الإرهابيين، إلى تلك الفكرة الخادعة والمخدرة، عن أن من ينفذون تلك العمليات ضدنا هم أناس جهلة، لا يفكرون، وليسوا خريجي جامعات كما هو عليه الحال في أغلب الأحيان. والأكثر من ذلك كشفت الدراسة التي أجريناها على الإرهابيين، أن اثنين منهم حصلوا على شهادة الدكتوراه من جامعات غربية. واثنين آخرين كانا في طريقهما للحصول عليها. إلى ذلك يجدر الذكر أن هذه الفرضية، تشبه تلك التي تفيد بأن الفقر هو المسؤول عن الإرهاب، وهو ما أثبتت الدراسات عدم صحته.)

شكوك في أثر التعليم الديني

وقد أثارت دراسة مولها البنك الدولي، ونشرت مؤخرا، المزيد من الشكوك حول التأثير الفعلي للمدارس الدينية في باكستان، وهي البلد الذي يعتقد أن المدارس الدينية تلعب فيه دورا كبيرا في تأجيج المشاعر المعادية للولايات المتحدة، وقد كشفت هذه الدراسة أن عدد الطلبة المنتسبين إلى المدارس الدينية لا يتعدى ١%، وذلك عكس ما أظهر تقرير لجنة التحقيق في أحداث ١١ سبتمبر

بالإضافة إلى صحف عديدة، من أن ١٠% من الطلبة في باكستان يدرسون في تلك المدارس. وإذا كانت هذه النسبة صحيحة، فإن ذلك يعني أن عدد الطلبة الأميركيين الذين يفضل آباؤهم تدريسهم في المنازل هم أكثر من عدد الطلبة الباكستانيين الذي يرسلهم آباؤهم إلى المدارس الدينية. (أسطورة المدارس الدينية العتيقة، المركز الدولي لدراسات أمريكا والغرب، نقلا عن جريدة (نيويورك تايمز)، ٢٠٠٥/٧/٢).

دور المناهج الدينية

سرت في العالم العربي وفي الغرب كذلك، بعد كارثة الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، موجات إثر موجات من التحليلات لظاهرة الإرهاب في العالم العربي المسلم. وكعادتنا في سرعة تبني الأسباب الظاهرة دون الباطنة، انصبت معظم هذه التحليلات على دور مناهج التعليم الديني الظلامي في انتشار ظاهرة الإرهاب. وكنا نعني بـ (الظلامية) هنا تلك النصوص الدينية التي تحض على كراهية الآخر والعداء له، والتي يجري التركيز عليها وتلقينها للناشئة. كما كنا نعني بذلك مقولة (الولاء والبراء) التي أقحمت في المناهج الدينية في بعض الدول العربية. وكان (الولاء) يعني لدين الإسلام وحده، و(البراء) من الأديان الأخرى. بل كان يعني دائرة أكثر ضيقا من هذه في بعض المناهج الدينية لدول الخليج، إذ كان يعني تفسيرا معينا ومنهاجا معينا لنصوص الدين، دون النظر أو الاعتراف بالتفاسير والمناهج الأخرى.

الدور الوهمي

فلماذا اعتبرنا دور المناهج الدينية والظلامية منها على وجه الخصوص دورا وهميا ومن الخرافات، في انتشار الإرهاب في الربع قرن الماضي (١٩٨١-٢٠٠٥) بدءا من اغتيال الرئيس السادات ١٩٨١ إلى الآن ؟

وهل كان دور المناهج الدينية والظلامية منها، سببا رئيسيا، أطلقناه نحن العرب المسلمون؟ ولقد كنت أنا في الماضي واحدا من معتنقي هذا الرأي، لكي نبرر به أعمال الإرهاب الشريرة. وقد كتبت في كتابي (محامي الشيطان: دراسة في فكر العفيف الأخضر) ما ملخصه أن الأبجدية العربية تبدأ بـ (ك ف ر : كفر) .

وقلت: لا شك، أن أنظمة التعليم المتخلفة في العالم العربي، وفي دول الخليج على وجه الخصوص، كانت من الأسباب الرئيسية لانطلاق الإرهاب، فهي التي ربت الإرهابيين على تكفير الآخر، ومحاربة الآخر، وكراهية الآخر.

وقلت كذلك: لا شك، في أن المناهج التعليمية العربية، التي كانت متخلفة في الخمسينات والستينات، بسبب تركيزها الأساسي على المواد الدينية التحفيظية والتلقينية، وعدم تركيزها على العلوم الطبيعية، والرياضيات، والاقتصاد، والفلسفة، والمنطق، والفنون، وعلوم الأديان المقارنة، وعدم اهتمامها بتدريس اللغات، كانت من أسباب وجود تربة صالحة، ومجاري طافحة، صالحة لتربية بعوض الإرهاب.

مناهجنا الدينية في عيون الغرب

وهذا الحكم أطلقه أيضا الغرب على مناهجنا الدينية، لكي يصيب أعداء الإسلام في الغرب (القس بات روبرتسون مثالا) مقتلا من الإسلام كدين من ناحية، ولكي يبرر الغرب لنفسه أسباب الإرهاب، ويبعد سبب مظالمه السياسية والاقتصادية للعالم العربي على مدار القرن العشرين كواحد من أسباب الإرهاب المنتشر الآن بقوة، ومنذ ربع قرن مضى؟

أسباب نفي دور المناهج الدينية في رفع وتيرة الإرهاب

في ظننا وزعمنا، أن دور المناهج الدينية والظلامية منها، لم يكن دورا رئيسيا في رفع وتيرة الإرهاب في ربع القرن الأخير وإلى الآن، وحججنا في ذلك تتلخص فيما يلي:

١- أن المناهج الدينية والظلامية منها، موجودة منذ القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، وما قبل ذلك أيضا ولعل النظر في كتب التدريس الدينية المعتمدة في الجامع الأزهر، تبين لنا قدم هذه المناهج. ولعل من قرأ (الأيام) لطه حسين، وما كان يجده من عناء في التعلم قبل وبعد دخوله الأزهر، يدرك مدى وطأة التعليم الديني على تشكيل شخصية الطلبة. وتتابعت المدارس الدينية في العالم العربي، وبقيت المناهج الدينية على حالها، بل ربما ازدادت سوءا وتخلفا ولكنها رغم ذلك لم تثمر موجات الإرهاب التي نراها في هذه الأيام. فهل كانت شجرة الإرهاب بحاجة إلى كل هذه السنوات لكي تطرح هذه

الثمار المرة والقاتلة؟
٢- إن التعليم الديني في إسرائيل، مليء بالنصوص التي تعادي العرب، على سبيل المثال. ورغم ذلك لم تنتج هذه النصوص إرهابا اسرائيليا ضد العرب يماثل الإرهاب العربي ضد الآخرين. ففي دراسة أجريت على ٣٨٠ كتابا في المناهج التعليمية الإسرائيلية، ألحقت العرب بالمهن التالية:
لصوص (٤٢ كتابا)، مخربون (٣٦)، قناصون وقتلة (٢٧)، مختطـفو طائـرات (٣١)، مغتصبو أملاك (٤١)، يحرقون الحقول والأشجار (١٧)، أعمال قاسية دون تحديد (١٨١). كما أثبت البروفيسور كوهين في بحثه المنشور بالعبرية تحت عنوان: (بانيم مخوعارت بمرآة، يعني: أي وجه قبيح في المرآة) ، أنه في تحليله لمضامين ألف كتاب عبري، تظهر صورة العربي في شكل قاتل أو مختطف للأطفال، وأن هذه الصورة مستقرة لدى ٧٥% من أطفال المدارس الابتدائية الإسرائيلية.
ومما ورد في بعض الكتب المدرسية في إسرائيل: (كل ما مر بالقدس ليس سوى غزوات عابرة، حتى سعدت بعودتنا لتصبح عاصمة إسرائيل مرة أخرى (كتاب (هذا موطني) تأليف، ش. شكيد). وفي مقرر الصف السابع، هجوم سيئ على النبي عليه السلام، ووصفه بالغارق في الأحلام، وأنه يأمر أتباعه بنشر الدين بقوة السلاح، ويستعمل المكائد والمؤامرات في حربه مع اليهود. وفي كتاب (علم التربية المدنية)، المقرر على طلبة المدارس الثانوية، أن العرب يعدون

لحرب إبادة ضد إسرائيل، بحيث يقذفون بالسكان اليهود في البحر، وأنهم إذا لم ينفذوا في هذا الوقت تهديداتهم، فلعدم القدرة، لا لعدم الإرادة.

وفلسفة التعليم الصهيوني بنيت أصلا على تلقين التراث الديني اليهودي، وإفهام الطلاب بأن الحضارة البشرية هي نتاج مشترك بجهود الشعب اليهودي. وقد عبر الكاتب اليهودي (موشيه مينوحين) الذي تخرج من المدرسة الثانوية اليهودية الأولى (الجمنازيوم)، عن الروح التي تبثها المدارس اليهودية قائلا: (منذ أولى سنوات دراستنا في الجمنازيوم. كنا نتلقى يوميا خطبا لا تنتهي عن واجباتنا المقدسة نحو أمتنا وبلادنا وأرض آبائنا، وكان يقرع قلوبنا الفتية، أن أرض آبائنا يجب أن تخلص لنا نظيفة من الكفار العرب، وأنه يجب أن تسخر حياتنا لخدمة أرض آبائنا، وللقتال من أجلها).

٣- من الباحثين من يركز على أثر الوهابية السلبي، وعلى دورها في رفع وتيرة الإرهاب على هذا النحو الذي نراه الآن. في حين الوهابية كانت موجودة منذ القرن الثامن والتاسع عشر، وكانت تعاليمها وخطابها الديني في ذلك الوقت متطابقة مع واقع الجزيرة العربية البدائي خاصة والعالم العربي عامة، في ظل الحكم العثماني في ذلك الوقت، ورغم هذا لم يظهر الإرهاب على هذه الصورة التي نراها الآن. بل إن التعاليم الوهابية لم تكن ذات بال بالنسبة للصراع العربي- الإسرائيلي في الثلاثينات من القرن العشرين. فلا عز الدين القسام، ولا

عبد الرحيم محمود، ولا الشيخ أديب السراج، ولا الشيخ موسى البديري، ولا فوزي القاوقجي، ولا الحاج أمين الحسيني كانوا وهابيين، أو يعتنقون أي خطاب وهابي فيما بتعلق بالجهاد. ولم تنتشر الوهابية إلا من زمن قريب في فلسطين تحت مصطلح السلفية المتمثلة بـ (جمعية القرآن والسنة) ومركزها في قلقيلية . وهناك جماعات أخرى مثل (التكفير والهجرة). كذلك فلا علاقة لحماس أو (الجهاد الإسلامي) أو أي تنظيم ديني مسلح في فلسطين بالوهابية وخطابها. فهذه الجماعات خرجت من عباءة الإخوان المسلمين، ولم تخرج من عباءة الوهابية. بل نستطيع أن نقول إن الوهابية هي التي ابتليت بفكر الإخوان المسلمين الإرهابي، وخاصة فكر سيد قطب أو ما يطلق عليه بـ (القطبية)، عندما دخلوا إلى السعودية، هاربين من حكم عبد الناصر في الستينات، وهاربين من حكم حافظ الأسد في الثمانينات من القرن العشرين.

٤- الآن، ومنذ التسعينات، اختلف الواقع العربي وما يحيط به عما تقوله الكتب الدينية للطلبة. فأصبحت نصوص الكتب الدينية في واد والواقع العربي العملي في واد آخر. فالكتب الدينية التي تدرس للطلبة تحرم الربا مثلا، في حين أن أكثر من ثمانين بالمائة من آباء هؤلاء الطلبة يتعاملون مع بنوك (ربوية) دون حرج، أو تردد. وفي بعض البلاد الإسلامية كالسعودية حظر فتح بنوك إسلامية أو شركات استثمار

إسلامية، كالتي قامت في مصر والسودان وباقي دول الخليج. كما أن الطلبة الذين يدرسون تحريم الربا، يتجهون بحماسة شديدة بعد التخرج إلى العمل في البنوك (الربوية) دون حرج، أو تردد. كذلك، فإن كتب الدين تحرم في التجارة أن تكون السلعة من الثمن نفسه مثلا فلا يباع المال بالمال أو القمح بالقمح.. الخ. ولكن تجارة السيارات مثلا في أنحاء العالم العربي كافة دون استثناء، تستبدل السيارات القديمة بسيارات جديدة، أو تشتري السيارة القديمة وتبيعك سيارة جديدة. كذلك، فإن البورصة في أنحاء العالم العربي كافة تشتري الأسهم والسندات، التي هي مال بالمال، وتبيع هذه السندات والأسهم التي هي مال بالمال. والطلبة الخريجون الذين درسوا هذه الشرائع، يعملون في البنوك (الربوية)، ويعملون في البورصات العربية، وفي معارض السيارات.. الخ. وكتب المناهج الدينية مليئة بسب اليهود وشتم المسيحيين، واحتقار كل ما هو غير مسلم. وعلينا أن نعترف بهذا. ولكن أرض الواقع العربي تشهد في الأردن مثلا، إقامة مشاريع صناعية في المنطقة الحرة مع شركات يهودية. والشباب والشابات الأردنيات من المحافظين والفقراء، يتقاطرون على العمل في هذه المشاريع بالمئات، وهم يعلمون أن اليهود مستثمرون في هذه المشاريع. وينسون ما قرأوه من عداء لليهود في الكتب المناهج الدينية قبل سنوات. كذلك تشهد أرض الواقع العربي، توقيع اتفاقات يومية مع الدول المسيحية، وتبادل

سفراء، ووفود وخبراء في المجال العسكري والتربوي والاقتصادي والزراعي. ونحن نأكل، ونشرب، ونلبس، ونركب، ونتفرج، ونسمع، ونقرأ، وننعم بما ينتجه لنا المسيحيون الغربيون. كذلك فقد عقدنا ثلاث معاهدات سلام مع إسرائيل حتى الآن. وبالأمس تصافحت باكستان الدولة الأصولية المسلمة برعاية ومباركة تركيا المسلمة مع الدولة اليهودية. وما زالت الطريق طويلة.

إذن، اختلف شكل وطبيعة ونوايا وتموضع الآخر في واقع الشباب العربي، عما درسوه وحفظوه في كتب مناهج الدين. بينما بقي تموضع الآخر في الكتب الدينية كما هو منذ مئات السنين. وأصبح الاختلاف واضحا بين الثابت والمتحول. لقد اختلف العالم كله، اختلفت قنوات المعرفة، وسيطرت العولمة الثقافية والعولمة الإعلامية على الفضاء العربي. ولم تعد هناك (دار إسلام) و (دار حرب) كما كان يدرس للناشئة الدينية وإلى الآن. وإن هذا التقسيم موجود فقط في رؤوس رجال المؤسسات الدينية فقط وواضعي المناهج الدينية. وهؤلاء هم خارج الواقع، وخارج العصر، وخارج الحداثة. ويعيشون في القرون الوسطى ومفاهيمها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية. إذن، فشلت جهود المؤسسات الدينية في العالم لزرع كراهية الآخر في نفوس النشء العربي. والتعليم العربي، يضيع وقته سدى عندما يكرس هذه المواد الدينية التي تلقن للطلبة في كراهية الآخر، في حين يجد الشباب العربي واقعا

مضادا لما يتعلمه في المدارس. إن هذه الساعات الطويلة المجانية في دراسة هذه الكراهية الموجودة في النصوص الظلامية فقط وليس على أرض الواقع، كان يجب أن تكرس لمنافع أخرى.

٥- إن الطلبة في العالم العربي، الذين يتلقون مثل هذه الدروس الدينية المحرضة على كراهية الآخر والعداء له، لا يعيشون في أفغانستان أيام حكم طالبان، أو في باكستان محمد علي جناح، التي كانت تعد معظم مناطقها منقطعة عن العالم وما يدور فيه. فطلبة الخليج خاصة والطلبة العرب عامة، يعيشون وسط الإنجاز العلمي العالمي للاتصالات والمواصلات. وشبكات الانترنت تنتشر في هذه الأوساط انتشار النار في الهشيم. وهم بذلك يرون في كل هذا حقائق تختلف عن الحقائق التي يقرأونها في الكتب الدينية الظلامية.

الإرهابيون يساريون!

بعيدا عن التعليم الديني الظلامي وأثره المزعوم في رفع وتيرة الإرهاب، يشير الباحث الفرنسي أوليفر روي في كتابه (الإسلام المعولم) إلى أن الإرهابيين الأصوليين المعاصرين، يشبهون إلى حد كبير الحركات اليسارية المتطرفة التي برزت في الثلاثينيات والستينيات من القرن الماضي. وقد جاءت الأصولية الإرهابية لتملأ الفراغ الأيديولوجي الذي خلفته الاشتراكية والقومية بعد هزيمتها في العالم العربي. ولاحظ الباحث الفرنسي، أن الأصولية الإرهابية تجند النوعية نفسها من الأشخاص المتعلمين والمنحدرين

من عائلات مهاجرة، كما أنهم يوظفون الرموز نفسها ويقدحون الأعداء أنفسهم كالإمبريالية والرأسمالية. ويشدد الباحث الفرنسي على أن الأصولية الإرهابية ما هي إلا نتاج للعولمة وأعداء لها في الآن نفسه. وحسب رأيه يلجأ بعض الشبان إلى الإرهاب لأنه الشيء الوحيد المتبقي لهم بعدما فقدوا صلتهم بثقافة بعينها، أو بلد بعينه، ويشير ماضيهم إلى أنهم كانوا بمنأى عن السياسة قبل أن يحملوا السلاح، ويتبنوا الإرهاب. والهدف بالطبع هو توجيه ضربة قاصمة إلى النظام وإعطاء معنى لحياتهم. ويبدو أن العالم العربي كان دائما متلقيا جيدا للأفكار الغربية حتى لو كانت سيئة. وهذا ما نلاحظه مع الأصوليين الإرهابيين، الذين استلهموا قيم التمرد والانتفاض نفسها التي سبقتهم إليها الحركات اليسارية في الغرب وحوروها في اتجاه آخر، حيث نراهم يفدون إلى العراق لتفجير الأميركيين والعراقيين على حد سواء، كما قال ديفيد بروكس (تعريف جديد لمعنى الإرهابيين، نيوريورك تايمز، ٢٠٠٥/٨/٢٠). وهذا رأي آخر ينفي أثر التعليم الديني الظلامي في رفع وتيرة الإرهاب في العالم العربي، والذي جعلناه سببا رئيسيا، لكي ننفي الأسباب الحقيقية الأخرى التي رفعت من وتيرة الإرهاب الآن.

فضاء الإرهاب



الإرهاب والفوضوية وجهان لعملة واحدة

* يعيش العالم كله، بما فيه العالم العربي، حالة من الخوف والرعب وعدم الاستقرار، نتيجة لأعمال الإرهاب القائمة الآن من قبل الأصوليين الدينيين. ويبدو أن تاريخ الإرهاب في القرن التاسع عشر يعيد نفسه الآن في أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين.
ففي عامي ١٨٨٠ و١٨٩٠ بلغت ذروة الإرهاب الفوضوي حدها الأعلى في أوروبا، ثم في جميع أنحاء العالم. وفي الأعوام السبعة الماضية (٢٠٠١-٢٠٠٧) بلغ الإرهاب في العالم العربي، وفي العالم أجمع حده الأعلى كذلك.

الإرهاب والفوضوية

وقد نشرت مجلة الإيكونوميست تقريرا ربطت فيه بين الإرهاب القائم الآن وبين الفوضوية الغربية التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر، وقالت: (إن الجهاد بالتأكيد ليس الخلف المباشر للفوضوية، بل هو بعيد عنها. ومع ذلك، فإن التطابق بين تفجيرات فوضويي القرن التاسع عشر وإسلامويي هذه الأيام قد يكون ذا دلالة).

فالإرهاب الأصولي الديني والحركات الفوضوية التي ظهرت في الغرب في القرن التاسع عشر تكاد تكون واحدة. وتلك من أمراض البشرية المعتادة. فلا صحة بدون أمراض. بل لعل هذه الأمراض هي التي تدفع الإنسان العالم والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي إلى القيام بالتفكير والبحث عن جذور هذه العمليات الإرهابية الفوضوية، ووضع الدواء والحلول لها، حالها كحال أمراض السل والسرطان والجدري ووباء الكوليرا وغيرها من الأوبئة التي أصابت البشرية، وأوقعت فيها ضحايا بالملايين.

التدمير هو القاسم المشترك

فهل هناك علاقة بين الإرهاب الديني الأصولي الحالي المدمر والحركات الفوضوية المدمرة التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر مثلا؟

الفوضوية anarchie اصطلاح من أصل لاتيني يعني (لا حكومة)، ويعني أيضا (لا سلطة). فالفوضوية عبارة عن نزعة تعتقد بأن السلطة لا لزوم لها، وتجر على المجتمعات المصائب والكوارث. وبأن الدولة عدوة للفرد، وتفرض عليه الأنظمة والقوانين فرضا، ولهذا يجب محاربتها. وتدعو الفوضوية إلى إلغاء الدولة التقليدية، وقيام حكومة الوعي العام التلقائي الملتزم بالقانون الاجتماعي والأخلاقي والقيم السائدة، الضامنة لسائر أنواع الحريات. وقد نشأت هذه المفاهيم بسبب الخسارة المالية التي لحقت بالرأسماليين الصغار أمام التجمعات الرأسمالية الكبرى، في

إيطاليا وإسبانيا وفرنسا، في منتصف القرن التاسع عشر. وكان رواد الفوضوية كفكر وكحركة سياسية، صفوة من المفكرين كالمفكر الإنجليزي جودوين (١٧٥٦ - ١٨٣٦)، والفيلسوف الفرنسي برودون (١٨٠٩ - ١٨٦٥)، والروسي باكونين (١٨١٤ - ١٨٧٦) وغيرهم.

وجوه تشابه الفوضوية مع الإرهاب

هناك عدة وجوه متشابهة ومتلازمة بين الحركات الفوضوية في العالم، وبين الحركات الإرهابية، خاصة تلك التي تصبغ بالصبغة الدينية ويقودها متشددون دينيون، والذين نراهم على الساحة الآن في العالم العربي وخارجه. كما أن هناك عدة وجوه متشابهة ومتلازمة بين العمليات الإرهابية الدينية الحالية وبين الإرهاب الفوضوي في القرن التاسع عشر الذي اجتاح أوروبا. وكأن التاريخ البشري في هذا التشابه بين الإرهاب والفوضوية يعيد نفسه، كما يعيده في أحداث كثيرة.

قراءة في الماضي والحاضر

دعونا نقرأ الماضي والحاضر لنرى كيف يعيد هذا التاريخ نفسه:

١- من الصعب تحديد مفهوم الفوضوية. وصعوبة تحديده متأتية من أنه مليء بالتناقضات؛ فالفوضوية مبدأ هدام تخريبي يستخدم العنف ليحدث الفوضى في النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية القائمة، دون أن يكون لديه البديل

البناء. علما بأن معظم الفوضويين يرفضون هذا التصور، ويؤكدون أنهم يهدفون لبناء مجتمع فاضل، بعيدا عن العنف والفقر.

كذلك، فإنه من الصعب تحديد مفهوم الإرهاب. ذلك أن الإرهاب يأخذ أشكالا مختلفة في كل زمان ومكان. والإرهاب مفهوم متغير غير ثابت، ومليء كذلك بالتناقضات. ولكن هدفه الأساسي هو الهدف نفسه للحركات الفوضوية، وهو بث الفوضى عن طريق العنف في المجتمعات، ودون أن يكون لديه البديل الواقعي الصالح للتطبيق. ومن هنا استنكفت الأمم المتحدة عن وضع مفهوم ثابت للإرهاب رغم مطالبة الكثير من العرب والمسلمين. والإرهابيون كما نراهم الآن في العالم العربي يدعون كما كان يدعي الفوضويون بأنهم قادمون لكي يطبقوا تعاليم السماء في العدل، وتوزيع الثروة، واقامة مجتمع القيم الفاضلة.

٢- لقد أثبت كبار الباحثين الذين تولوا دراسة الحركات الفوضوية، أن الفوضوية ليست أيديولوجيا واحدة محددة، وإنما هي نقطة تقاطع بين العديد من الأيديولوجيات. فهناك فوضويون يساريون، وفوضويون ليبراليون، والقاسم المشترك بينهم هو النقد الحاد لسلطة الدولة وسيادتها. وكثير من الفوضويين يرفض العنف، أو يوافق عليه أحيانا من أجل التصدي لـ (عنف الدولة).

والحركات الدينية الإسلاموية مارست الإرهاب في السابق

كجماعة الإخوان المسلمين، من خلال ما عرف بـ (التنظيم السري) الذي اغتال عدة شخصيات سياسية، ومارس الإرهاب العنيف في مصر في الأربعينات وبداية الخمسينات. فقد كانت تعليمات (التنظيم السري) الإرهابية تقول صراحة: (إن كل من يحاول مناوأتهم، أو الوقوف في سبيلهم مهدر دمه، وإن قاتله مثاب على فعله) (عصام حسونة، ٢٣ يوليو وعبد الناصر، ص ٤٦). وكانت فلسفة هذا الجهاز الإرهابي المخيف تقول: (إن قتل أعداء الـلـه من المسلمين من غير الإخوان والآخرين غيلة، هو من شرائع الإسلام، ومن خدع الحرب فيها) (محمود الصباغ، حقيقة التنظيم الخاص، ص٤٣٣). هذا في مصر، أما في الأردن والمغرب وبعض دول الخليج، فقد جنح الإخوان المسلمون إلى الجهاد الفكري والثقافي بدلا من الجهاد الإرهابي المسلح الذي مارسوه في مصر. كذلك نرى من ناحية أخرى، أن الجماعات الإرهابية الحالية لا تدين بأيديولوجيا واحدة. فترى جماعة الإخوان المسلمين مثلا، أن النضال السياسي والانخراط في العمليات السياسية هو الطريق الأسلم والأمثل لنيل المطالب. في حين يرى تنظيم (القاعدة) وتنظيمات أخرى دينية أصولية، أن الإرهاب والقتل ومعاداة الدولة ومحاربتها، هي الوسيلة المثلى للوصول إلى تحقيق المطالب.

٣- امتازت الفوضوية الغربية في القرن التاسع عشر بعدائها الشديد للمرأة، وللأفكار اليسارية باعتبارها أفكارا هدامة.

فجوزيف برودون (١٨٠٩ - ١٨٧٥) الملقب بأبي الفوضوية الفرنسية، يشير إلى صغر حجم المرأة من الناحية البدنية ، وإلى سلبيتها المفترضة في الفعل الجنسي، ويرى أن هذين العنصرين هما أهم الشواهد المرئية والملموسة على ضعفها مقارنة بالرجل. ويقول إن كبر حجم الفخذين والحوض والثديين عند المرأة، هي أدلة على تحديد وظيفتها الوحيدة في الحياة، كحاملة للأطفال، ومرضعة لهم. ويقول برودون عن المرأة : (ليس أمام المرأة سوى اختيار واحدة من وظيفتين : إما ربة بيت أو عاهرة). ويلخص رؤية الفوضويين حتى اليوم، حول مكانة المرأة في المجتمع قائلا : (إن الرجل هو السيد، وعلى المرأة الطاعة). وقد تطابقت دعوة الأصولية الدينية الإرهابية مع هذه الدعوة الفوضوية. فنرى في أدبيات الحركات الأصولية الدينية الإرهابية عداء كبيرا للمرأة (بلدان الخليج مثالا لا حصرا) لا يماثله أي عداء آخر في العالم في العصر الحديث، إلى درجة أن الأصوليين يتبعون ذكرهم للمرأة بعبارة (أجلك اللـه) ، و(أكرمك اللـه). وهما عبارتان تطلقان عادة بعد ذكر شيء نجس، أو قذر. وهذا العداء والكراهية للمرأة، يستند إلى أحاديث نبوية، يشك قلة من الفقهاء النبلاء في صحتها، ومنها: (النساء نواقص العقول والإيمان والحظوظ)، و (المرأة شر، وشر ما فيها لا بد منها)، و(إياك ومشورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن)، وغيرها من الأحاديث. ولعل عناصر (القاعدة) هم أكثر

الأصوليين الدينيين الإرهابيين تشددا في عدائهم للمرأة، بدليل ما فعلوه من مساندة وتعضيد لحكم طالبان في أفغانستان الذي قهر النساء وسجنهن وعذبهن ومن يشاهد فيلم (أسامة) الذي أخرجه المخرج الأفغاني (صديق برماك) والفائز بجائزة غولدن غلوب لأفضل فيلم أجنبي، والذي يتحدث عن عهد حركة طالبان في أفغانستان من خلال قصة فتاة (أسامة) اضطرت إلى التنكر في لباس شاب، للإفلات من وضعها كامرأة.. من يشاهد هذا الفيلم الوثيقة، يستطيع أن يدرك العلاقة بين الحركة الفوضوية الغربية، وبين دعوة الأصولية الدينية الإرهابية، أفضل إدراك.

كما أن دعوة الأصولية الدينية الإرهابية ضد الحداثة (وهنا تعني اليسار في قاموس الأصولية الدينية) لا مجال لإنكارها. ومثالها الكبير كتاب الأصولي السعودي عوض القرني (الحداثة في ميزان الإسلام، ١٩٨٨)، وكتاب الشيخ يوسف القرضاوي (وجها لوجه..الإسلام والعلمانية،١٩٨٧) ومئات الكتب والنشرات والأشرطة المسموعة والمرئية التي أصدرتها الأصولية الدينية، وغمرت بها المكتبات والمساجد والأندية الثقافية والاجتماعية والجمعيات الخيرية والأسواق العامة.

٤- كان الفوضويون يحلمون بعالم رومانسي خيالي، لا صلة له بالواقع المعاش في القرن التاسع عشر. إنهم يرغبون بعالم بلا قانون، إذ أراد منظرهم الأول، بيير جوزيف برودون، إزالة الحكومة المركزية كلها. ومع ذلك - في رأي برودون - فهذا،

قد لا يسبب الفوضى التي غالبا ما اعتبرت مرادفة لكلمة anarchy بل على العكس، ربما يتبع ذلك نوع من النظام المتناغم، بعد أن يتم استبدال الدولة بنظام من مجموعات وطوائف ذاتية الحكم، تربطها ببعض عقيدة ومصلحة مشتركة بدلا من القوانين. وللأصولية الدينية الإرهابية كذلك، أهداف سياسية رومانسية لا صلة لها بأرض الواقع في القرن الحادي والعشرين، منها: (استعادة كامل التراب الفلسطيني)، والثأر لمقتل (أبناء أمتنا)، وطرد (جميع جيوش الكفر) من (أرض محمد). وهذه الأهداف قد تكون مطروحة من قبل أي حركة تحرير وطنية. لكن هناك أهدافا أخرى أكثر سلفية، وأكثر رومانسية، وأكثر جنونا، مثل جلب جميع العالم إلى الإسلام، الذي، كما يقول ابن لادن (يعني الرحمة للآخرين، لأنه يقيم العدل بينهم، ويمنحهم حقوقهم، ويدافع عن المظلومين والمضطهدين).

٥- كان الفوضويون يؤمنون بسرقة المال. وكان زعيمهم بوردون يقول (المال سرقة). ولقد شهدنا في العراق، وقبلها في مصر، كيف سطا الإرهابيون على البنوك في العراق، وسرقوا منها أموالا طائلة. كما سطوا على سيارات البنوك التي تنقل الأموال في العراق، وقطعوا عليها الطريق كأي قطاع طرق آخرين. كما شاهدنا من قبل، كيف كان الإرهابيون في صعيد مصر يسطون على محلات الصاغة المسيحية، ويسرقون الحلي والمجوهرات.

٦- وأخيرا، كان الفوضويون دائما يرون أن عالمهم الحر الذي

يحلمون بإقامته، لا يمكن له أن يقوم إلا من خلال حطام الإمبراطوريات والمعتقدات. وهذا هو واقع الحال مع الأصولية الدينية الإرهابية، التي تسعى إلى إقامة الخلافة الإسلامية المتخيلة، من خلال محاولتها اليائسة لضرب رموز الحضارة الرأسمالية الغربية (برجا التجارة العالمية في نيويورك، وتفجيرات المترو في مدريد ولندن، والفنادق التي تحمل أسماء أمريكية في الشرق الأوسط.. الخ). ومن خلال هجومها الشفاهي على منجزات هذه الحضارة.

الإرهاب والفوضوية عدو واحد

إن حال الجماعات الإرهابية الآن، يتطابق كثيرا مع حال الحركات الفوضوية في أوروبا، من حيث موقف الحكومات الغربية خصوصا من هذه الحركات. فكما ناصبت أمريكا العداء للفوضويين، فقد ناصبت العداء أيضا للجماعات الإرهابية الدينية أيضا فقد طلب الرئيس روزفلت، من الكونغرس استثناء أي شخص كان يؤمن (بالمبادئ الفوضوية)، ومن يدافع عن عمليات القتل وخرق القانون الدولي. وأجبر الكونغرس في حينها على إصدار قانون طرد أي شخص يقوم بتسويق أفكار الفوضويين، وعقدت المؤتمرات الدولية الكثيرة (منها مؤتمر ١٨٩٨ في ايطاليا) من أجل ذلك. وكان هذا هو الحال بالنسبة للجماعات الإرهابية في وقتنا الحاضر، ليس في أمريكا فقط، ولكن في دول العالم كافة التي اكتوت بنار الإرهاب.

الإرهاب ليس ضد الاحتلال
ولكنه ضد زهرة الحداثة

* ما حدث في ٢٠٠٧ من اعتداءات إرهابية غاشمة في الدار البيضاء والجزائر، تثبت بالدليل القاطع ما كنا نقوله في الماضي، وفي معظم ما كتبناه عن الإرهاب، من أن ظاهرة الإرهاب في العالم العربي ليس مردها وجود القوات العسكرية الأجنبية، ولكن مردها تصاعد دعوة التيار الديني الظلامي المتشدد، وزيادة جرعات الجهل والتخلف في العالم العربي، مقابل ما تحرزه الحداثة والليبرالية العربية الآن من تقدم. زيادة على ذلك، فإن التضييق والمصادرة والإلغاء لقوى الحداثة والليبرالية في العالم العربي، من قبل معظم الأنظمة العربية، والسماح للتيار الديني المتشدد والظلامي بأن يمارس دعواته، ويصدر فتاويه، ويقيم مواقعه الاليكترونية على شبكة الانترنت، دون ملاحقة أو ممانعة أو حجب أو مصادره، والسماح له ببث خطابه وإيصال كتابه من خلال وسائل الإعلام المختلفة، والمساجد، والمنابر، والقنوات الدينية، والمواسم، في الحج، والعمرة، ومخيمات الشباب الكشفية، والمؤتمرات الإسلامية، وخلاف ذلك من وسائل الاتصال

بالجماهير.. كل هذه العوامل قد أدت إلى أن تتسع دائرة الإرهاب في العالم العربي على النحو الذي نراه الآن، ولا تنحصر في بلد معين، وإنما تمتد امتداد النار في كل بلد عربي يسعى إلى زيادة جرعات الحداثة والليبرالية، وإقامة قواعد المجتمع المدني.

لا علاقة للإرهاب بالاحتلال

العبرة الأخرى التي علينا أن نخرج منها من ظاهرة الإرهاب، التي ضربت الدار البيضاء والجزائر بشكل قاس، هي أن الإرهاب الدموي اليومي الفظيع في العراق، لا علاقة له بمقاومة الاحتلال. وأن دعوى علاقة الإرهاب بالاحتلال دعوى باطلة.

فلو انسحب الجيش الأمريكي غدا من العراق لاستمر الإرهاب اليومي الدموي قائما، ولتم تبرير استمراره بوجود حكومة غير شرعية، وبرلمان غير شرعي، وانتخابات مزورة، ودستور غير إسلامي، وضرورة إقامة خلافة إسلامية، أو عودة حزب البعث النازي إلى الحكم.. الخ.

سوبر ماركت الإسلام

ففقهاء الإرهاب في كل أنحاء العالم العربي جاهزون ومستعدون لإصدار فتاوى دينية بهذه الخصوص، تبرر للإرهابيين إرهابهم، وللمجرمين إجرامهم، وللقتلة قتلهم.

فليس هناك أهون من إصدار فتوى دينية وضدها.

ألم يقل لنا حسن حنفي في مكتبة الإسكندرية، بأن فقهاء الإرهاب جعلوا من الإسلام (سوبر ماركت) يحتوي على كل ما يشاءون ويرغبون به؟
ألم يحل هؤلاء الفقهاء الإسلام إلى مطية توصل إلى الجنة، وتوصل إلى المقابر الجماعية في الوقت ذاته؟
ألم يقم صدام حسين - وبفتاوى من فقهاء السلطان - بحملات (الأنفال) الإجرامية في ١٩٨٨ في شمالي العراق، باسم الدين، وأطلق عليها اسم سورة من سور القرآن الكريم؟

جناية الفقهاء

من أجل ماذا تتم تفجيرات في أماكن ليس فيها احتلال عسكري أجنبي؟
ماذا يريد المفجرون والمتحزمون بالنواسف أن يقولوا لنا من خلال هذه الجرائم؟
أهو عبث أم جد؟
فإذا كان ما فعلوه هو الجد بعينه، فما هو هذا الجد، ولماذا؟
ولماذا صمت فقهاء الإرهاب على كل هذه الأعمال، ولم يتظاهروا في الشوارع احتجاجا واستنكارا لها، كما فعل مولانا القرضاوي حين تم تفجير مدرسة في قطر؟
ولماذا لم يقوموا بإصدار فتاوى تدينها وتستنكرها، وهم الذين لم يصدروا فتوى حتى الآن بإدانة أعمال القاعدة الإجرامية، أو اعتبار أسامة بن لادن مجرما، يجب هدر دمه؟

إن العالم كله يتساءل، كما سبق وتساءلنا سابقا، عن سبب عدم إصدار فتوى دينية جامعة مانعة من شيوخ الدين كافة في العالم العربي، بقتل أسامة بن لادن، الذي قتل الآلاف من الأبرياء حتى الآن، رغم كل هذه الفتاوى - بلا حساب - التي تصدر كل يوم في كل شأن، حتى في كيفية ركوب المرأة للحمار.. أتركبه مقبلة أم مدبرة؟

الإرهاب ضد الحداثة والليبرالية

وإذا كنا قد عمينا، وجهلنا، وعطلنا عقولنا، وأصبحنا كباقي حمقى هذه الأمة، وكباقي بلهائها، وسلمنا بأن الحمامات الدموية اليومية في وسط العراق وجنوبه هي لإخراج الاحتلال من العراق، فأين الاحتلال العسكري الأمريكي في المغرب، لكي نقاومه بالسيارات المفخخة والأحزمة الناسفة، كما نفعل في بغداد وجنوبي العراق؟

وأين الاحتلال العسكري الأمريكي في الجزائر، لكي نفعل فيها ما نفعله في بغداد وجنوبي العراق؟

وأين الاحتلال العسكري في مصر والسعودية؟

إن ما يجري مقاومته في العراق وفي المغرب وفي الجزائر، وفي أنحاء أخرى من العالم العربي ليس ضد الاحتلال العسكري الأمريكي. فالاحتلال العسكري موجود في قطر - مثالا لا حصرا - أكبر بكثير من وجوده في العراق، أو في أية بقعة أخرى من العالم العربي، ولا تجري بشأنه أية عمليات إرهابية كما يجري في

بغداد والدار البيضاء والجزائر. وحمى اللـه قطر وشعبها من كل مكروه. وإنما ما يجري الآن حقيقة ليس ضد وجود القوات الأجنبية، بقدر ما هو ضد تصاعد وتنامي تيار الحداثة والليبرالية الذي يريد إقامة الدولة العربية المدنية الحديثة، لكي نتخلص من هذه الظلامية التي تجتاح العالم العربي سياسيا وثقافيا واجتماعيا

فأينما أزهرت نبتة الحداثة، وجد الإرهاب لكي يقصفها ويقاومها .

وأينما وجدت فرصة لإقامة قواعد المجتمع المدني، وجد الإرهاب مبررا لضرب هذه القواعد المدنية.

فأين القواعد العسكرية الأجنبية، في الدار البيضاء، والجزائر، والرياض، وعمان وغيرها لكي يذهب ضحيتها كل هؤلاء الأبرياء؟

فهل فهم الغافلون، وأدرك المغفلون الآن؟

الإرهاب وراء بصيص الحداثة

نظرة سريعة على مواقع الكوارث والجرائم التي يقوم بها الإرهابيون من الانتحاريين والمتحزمين بالنواسف، تكشف لنا عن أن هؤلاء جميعا يقصدون البلدان التي تغيرت فيها السياسات، وبدأت تركب قطار الإصلاح السياسي والاجتماعي والتعليمي كذلك. وأن هؤلاء لا يتتبعون ما يطلقون عليه بالكفر والكفار، بقدر ما يتتبعون أي بريق للحداثة أينما وجد، وأي بصيص لليبرالية أينما بزغ لتدميره، وتعطيله، وإيقاف مفعوله. وأن المؤيدين لمثل هذه

الأعمال أو الساكتين عنها سكوت الرضا والغبطة، هم أيضا يشاركون هؤلاء في عدائهم للحداثة ولليبرالية، ولتقدمها الملموس الآن في العالم العربي. بل إن هؤلاء أشد خطرا على الحداثة والليبرالية من الإرهابيين القتلة أنفسهم، لأنهم بمثابة الشياطين الخرس، الساكتين عن قول الحق.

مظاهر الحداثة

فإصلاح التعليم الديني الظلامي المتشدد، الذي بدأ في معظم دول الخليج والمغرب والجزائر هو جزء من مسيرة الحداثة والليبرالية التي بدأت بعض الدول العربية الأخذ بها.

وإعطاء المرأة بعض حقوقها المشروعة، كما تم في الكويت بإقرار حق المرأة في الانتخاب والترشيح لمجلس الأمة، وبتعيين المرأة وزيرة لأول مرة في تاريخ الكويت، وتعيين ثلاثين قاضية في القضاء المصري، ولأول مرة في التاريخ المصري، رغم معارضة الأحزاب الدينية وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، تعد خطوة جديدة على طريق الحداثة والليبرالية في مصر، فيما اعتبر ما تم في الكويت ومصر هو يوم أسود في تاريخ هذين البلدين، كما قال بعض زعماء الأحزاب الدينية.

وتعيين الدكتورة الأميرة الجوهرة مديرة لجامعة البنات في الرياض، وذلك لأول مرة في تاريخ المملكة تتبوأ بها امرأة مثل هذا المنصب، يعد خطوة متقدمة لإعطاء مزيد من الحقوق للمرأة السعودية، التي أصبحت بالعلم وحده تشغل مناصب رفيعة في

الاقتصاد، بحيث أصبحت مدير بنك، ومناصب رفيعة في التربية، بحيث أصبحت عميدة لعدة كليات تعليمية، واحتلت مواقع متميزة في الصحة والإدارة والخدمة الاجتماعية. وهي التي ما زالت تطالب بحقها في سياقة السيارة، ولكن المجتمع قبل الدولة، والتقاليد قبل المراسيم، تحول الآن بينها وبين ذلك. ولعل مزيدا من التعليم والرقي للمرأة السعودية، سيمكنها مستقبلا من انتزاع المزيد من الحقوق المدنية. وما زال المجتمع السعودي يتغير. كذلك، فإن هامش حرية الرأي الآخر في المغرب والجزائر ودول الخليج وخاصة السعودية، قد زاد عما كان عليه سابقا والذي يقرأ باستمرار صحف هذه الدول، يلاحظ ببساطة زيادة هامش الحرية في الصحافة. وأن ما كان محرما الخوض فيه في الماضي، أصبح يخاض فيه كل يوم. وأن جزءا من المسكوت عنه في الماضي القريب، أصبح اليوم من المعلن عنه، والمناقش فيه، والمطروح للبحث.

حاسة شم الكلاب

المجموعات الدينية الإرهابية، والجماعات الدينية المتشددة في العالم العربي التي توجه هؤلاء الإرهابيين، تملك حاسة شم أعظم وأكبر من حاسة شم الكلاب. وهم يشمون رائحة الحداثة والليبرالية والإصلاح في البلدان العربية من على بعد سنوات، كما تشم الكلاب المخدرات وآثار المجرمين من مسافات بعيدة. وهم عندما ضربوا برجي نيويورك في عام ٢٠٠١ كانوا - في ظني

وتقديري المتواضع - يعلمون تمام العلم بأن الرئيس بوش في مقتبل ولايته قادم، وجاد، ومتحمس لحل القضية الفلسطينية، ومتابعة جهود خلفه كلينتون، ومحاولة تنفيذ ما تم عرضه في عام ٢٠٠٠ في كامب ديفيد، وإن كان بأسلوب مختلف. ولكن الهدف في النهاية واحد. وهو العمل على استقرار منطقة الشرق الأوسط. وإذا ما تم هذا الاستقرار، فهذا يعني التبشير بالديمقراطية، والتمهيد لها، وفتح طرقها. وبالتالي قيام المجتمع المدني العربي، واستبعاد قيام الدولة الدينية، أو دولة الخلافة الطالبانية، التي كانت تسعى إليها الجماعات الإسلامية بزعامة حسن الترابي، وراشد الغنوشي، وعمر البكري، وعمر عبد الرحمن، وابن لادن، والظواهري، وجماعة الإخوان المسلمين وغيرهم من عناصر المؤسسات الدينية السياسية والتجارية في الشرق والغرب، منذ حرب الخليج ١٩٩١ وحتى عام ٢٠٠١.

وربما يسأل سائل: وهل تبرر الضربات الإرهابية في الرياض في عام ١٩٩٤، ١٩٩٥، ٢٠٠٣، وفي الخبر عام ١٩٩٦ على هذا النحو. والجواب أن حاسة شم الإرهابيين للحداثة والإصلاح والابتعاد عن دولة الجمود والتكلس، والتي هي أقوى من حاسة الكلاب تجاه المخدرات وآثار المجرمين والمهربين، كانت قد اكتشفت، أن الدولة السعودية بعد حرب الخليج ١٩٩١ قد حزمت أمرها، وأصبحت جادة لحث الخطى نحو بناء الدولة الحديثة (السعودية الجديدة) والقيام بالإصلاح، رغم تبرم المتشددين الدينيين، وعدم رضا دعاة الدولة الدينية التقليدية. وبذلك بدأت موجات الإرهاب

في السعودية، والتي كان فيها عدد ضئيل من القوات الأمريكية نتيجة لحرب الخليج عام ١٩٩١ ، بينما لم يتم ضرب قواعد هذه القوات في قطر، التي يفوق عدد القوات الأمريكية الموجودة فيها أضعاف ما كان يوجد من قوات أمريكية على أرض السعودية. وهنا يجب أن نذكر بحقيقة وهي أن تعثر الحداثة في الثمانينات من القرن الماضي في السعودية، ما كان إلا نتيجة للحركة الإرهابية التي قادها جهيمان العتيبي على المسجد الحرام عام ١٩٧٩، والتي أعقبها ترك الحبل على الغارب للفئات الدينية المتشددة، وزيادة الفجوة الاجتماعية والتعليمية بين البنات والأولاد، وارتفاع الأصوات المعادية للحداثة، والمنادية بالتشدد في فرض الحجاب على المرأة، وحجب صورة المرأة من التلفزيون، وزيادة جرعات (فوبيا النساء)، واتساع دائرة المحاضرات والدروس والمخيمات الدينية المتشددة، وامتلاء المحلات التجارية بشرائط الكاسيت التي تحتوي على محاضرات ودروس دينية متشددة. وهو ما نطلق عليه (الإرهاب الناعم) أو (الإرهاب البارد) على غرار الحرب الباردة، مقابل ما يحدث اليوم من إرهاب دموي قاس، على غرار الحرب الساخنة.

كلام تافه في حريق الأرز!

* قرفت قرفا شديدا من تعليقات المعلقين، وتصريحات السياسيين اللبنانيين وغير اللبنانيين المبتذلة، والروتينية، والباردة، والرتيبة، على المجرزة التي طالت جبران تويني، ذلك الشاب الجميل، والرائع، والنادر، والشجاع، الذي احتضن المعارضة السورية قبل أن يحتضن المعارضة اللبنانية، وفتح لها صفحات جريدة (النهار) المشرقة، فحق على المعارضة السورية أن تكون أول من يثأر لدم هذا الفارس الشجاع، الذي جز رأسه الجلاد المقنع نفسه، الذي جز رؤوس كوكبة من رجال لبنان بدءا من كمال جنبلاط وليس انتهاء بجبران تويني. فما زالت القائمة طويلة، وما زال ثمن الحرية غاليا

لا كلام يليق بهذه الدماء

كان على العرب الذين قالوا، وكتبوا، وشجبوا، وبكوا ذبح جبران تويني في المسلخ اللبناني المفتوح على مدار ٢٤ ساعة (عرض مستمر للذبائح)، أن يصمتوا، ويكفوا عن هذا الكلام المعاد، والمبتذل والرخيص، الذي لا يليق بهذه الدماء اللبنانية

الغالية. فما أغلى الذين ذهبوا في المسلخ اللبناني، وما أرخص هذا الكلام.

الجزارون يتحدون العالم

كلما ذبح الجزارون في المسلخ اللبناني ضحية جديدة قامت الرؤوس نفسها، وامتدت الألسن نفسها، وكتبت الأقلام نفسها، وبكت العيون نفسها، وسوف يستمر المسلخ اللبناني مفتوحا ، وسوف يبقى الجزار المقنع واقفا متحديا العالم والشرعية الدولية، يحمل ساطورا كبيرا، وينتظر الضحية الجديدة، ويتحدى العرب والعالم، أن يزيلوا القناع عن وجهه، ويفضحوا شخصيته التي تعلمت فنون الذبح والسلخ في أعتى المسالخ، وهي المخابرات الألمانية الشرقية في عهد الديكتاتور ايريك هونيكر.

فساد السياسيين هو الأساس

كل الضحايا من سياسيين، وصحافيين، وكتاب، ومفكرين، ورجال دين الذين تم ذبحهم في المسلخ اللبناني منذ ثلاثين عاما ويزيد، لم يكن بفضل بطولة هذا الجزار المقنع، ودقة تنظيمه، وقدرته على إخفاء الجريمة، ولكن كان بفضل فساد السياسيين اللبنانيين الذين شجعوا الجزار، إما خوفا، وإما منفعة على مزيد من القتل.

فكيف نفسر إذن، أن يبوس المقتول يد القاتل بعد قتله، كما حصل مع معظم من تم ذبحهم في المسلخ اللبناني؟

وكيف نفسر أن يمشي القتلة في جنازات المقتولين ويتقبلون التعازي بهم جنبا إلى جنب أهلهم؟
وكيف نفسر أن يبقى القاتل هو الحليف، وهو الرغيف؟
لقد آن للشعب اللبناني أن يعرف ويفهم، أن ساسته هم جلادوه، وأن ساسته هم جزاروه، وأن ساسته هم ناهبوه وسارقوه. وأن الحرب الأهلية اللبنانيية التي استمرت ١٥ عاما كشفت الوجه القبيح والإجرامي للساسة اللبنانيين أمراء هذه الحرب، الذين ارتكبوا من المجازر البشرية أفظعها وأشنعها. وأصبحوا الآن هم قادة لبنان، ووجه السياسي القبيح.
أين السياسي المخلص؟
قولوا لنا: من هو السياسي اللبناني الذي يحب لبنان أكثر مما يحب مليشياته، وعسكره، وطائفته، وأزلامه؟
قولوا لنا: من هو السياسي الفقير في لبنان؟
قولوا لنا: من هو السياسي اللبناني الذي ليس لديه حساب سمين سري في لبنان وفي الخارج؟
قولوا لنا : من هو السياسي اللبناني الذي لم ينجح في أية انتخابات إلا بفضل سفارة عربية، أو أعجمية؟
قولوا لنا: من هو السياسي اللبناني الذي لا يمارس دور (القبضايات) في أزقة بيروت، وحواري طرابلس، ومخيمات صيدا؟

الفساد السياسي اللبناني هو الأقبح

لا فساد سياسيا في العالم العربي كما هو الفساد السياسي في لبنان.

الفرق بين فساد السياسيين اللبنانيين وفساد السياسيين العرب الآخرين، أن فساد السياسيين اللبنانيين يغطيه صوت فيروز الملائكي، وصدح وديع الصافي الذهبي، ولحون فيلمون وهبي الشجية، وأنغام الرحابنة الساحرة، وأشعار سعيد عقل، وجرن الكبة، وصينية التبولة ، وجمال الطبيعة في لبنان، ووداعة الشعب اللبناني.

والسياسيون اللبنانيون يسرقون، وينهبون، ويفسدون، تحت هذه الأغطية. ونحن نستحلي أفعالهم الشنيعة. ولكن بدأ كل شيء ينكشف الآن عندما صمتت فيروز، وشاخ وديع الصافي، ومات فيلمون وهبي، وطويت صفحة الرحابنة، وانكسر جرن الكبة، وانقلبت صينية التبولة، واحترق أرز لبنان.

شعراء لم يعرفوا لبنان

الشعراء العرب الذين عاشوا في لبنان كنـزار قباني، ومحمود درويش، وعبد الوهاب البياتي وغيرهم ، مدحوا لبنان، وأكلوا من رغيف تنوره وتبولته وكبته، وشربوا عرقه ونبيذه، وعاقروا نساءه، ولكنهم لم يقولوا له الحقيقة؟

لم يقولوا له إن طريق خلاصك من عذابك هي الثورة، لأنهم لم يروا من لبنان غير بيروت، ولم يروا من بيروت غير مقاهي

الروشة، وشارع الحمراء، وكازينو لبنان، ومرابعه الليلية.
تغزل هؤلاء بلبنان وبيروت، وقالوا فيها أحلى القصائد، لأنهم لم يعرفوا وجه لبنان السياسي القبيح. وأن لبنان صبية جميلة، اغتصبها وحوش هولاكو من التتار الغزاة، الحاقدين على قلب التمدن والرقي المدني والحداثة العربية.

لبنان الغزال بين أوطان الضباع
لو لم يكن لبنان وطنا غزالا بين أوطان الضباع المحيطة به، لما كان حاله كحاله الآن.
لو لم يكن لبنان وطنا حضاريا منفتحا على المستقبل، لما كان أبناؤه يتقاطرون على مسلخ الجزار المقنع، الذي يحمل ساطوره ليقطع به كل رأس يرتفع ويهتف: أحد، أحد
لو لم يكن لبنان بوابة للحرية لكل العرب المطاردين، ولكل المثقفين الهاربين، ولكل الشعراء المغردين، ولكل الأحرار المقهورين، لما اختاره الجزار المقنع لكي يكون مسلخ العرب، ومقصلة الحرية العربية.
لو كان لبنان ماخورا فقط، وزريبة فقط، ومقهى، وبارا، وناديا ليليا، وراقصة، وعاهرة فقط، لما حوله الجزار المقنع إلى مسلخ لجز رؤوس الأحرار، والأبرار .
لبنان العجز والمعجزة
لبنان وطن المعجزة، ووطن العجز.
ماذا يريد لبنان؟

لبنان يريد ثورة حقيقية حارقة، تقلب لبنان رأسا على عقب.

ثورة تلغي الطائفية تماما، وتضع دستورا جديدا للبلاد، وتولد قيادات سياسية جديدة للبنان.

وكل خطوة من هذه الخطوات هي بمثابة معجزة صعبة التحقيق، ما دام الجزار المقنع يقف على باب المسلخ اللبناني، وبيده ساطور ضخم. ولذا، نرى هذه الجموع من الشباب تهاجر من لبنان، حيث لا أمل في الثورة.

كل ما في لبنان يشير إلى العجز. ولولا فيروز، ووديع الصافي، وزكي نصيف، وفيلمون وهبة، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، والأخطل الصغير، ومجموعة من شعراء الحداثة الجدد، وكتاب لبنان وصحافييه الأحرار، لكان لبنان شجرة أرز محترقة لا روح فيها.

سياسيو لبنان تحالفوا، وباعوا لبنان لكل الشياطين من عرب، ومن عجم.

فماذا بقي في لبنان؟

الساطور أكبر من أن يخفى

مذبحة جبران تويني، لا تحتاج للكشف عن جزارها المقنع إلى مجلس أمن، ولا إلى لجنة تحقيق دولية، ولا إلى خبراء من FBI ، ولا إلى محكمة دولية، ولا إلى أية أدلة من أية جهة لكي تشير إلى الجزار المقنع القاتل. فكل هذا هراء ونفخ في الهواء. فالساطور أكبر من يخفى، والجزار أشهر من يتستر، وكل ما يحتاجه لبنان هو جرعة كبيرة من حليب السباع، وقدر من الشجاعة، لكي يبق البحصة.

هل بقي ببيروت مكان لقبر آخر؟

* لماذا تحولت (ست الدنيا) بيروت إلى مقبرة موحشة للعرب؟

كيف أصبحت صاحبة الأساور المشغولة بالياقوت، وذات الخاتم السحري والضفائر الذهبية مذبحا للعرب يسلخون فيه جلود معارضيهم؟

من قتل الفرح الناعم في عينيها الخضراوين، كما تساءل (والي بيروت الشعري) نزار قباني ؟

من شطب وجهها بالسكين؟

وألقى ماء النار على شفتيها الرائعتين؟

من سمم ماء البحر، ورش الحقد على الشطآن الوردية؟

من قتل فيها امرأة كانت تدعى الحرية؟

رثاء بيروت

لم يرث الشعراء المعاصرون مدينة كما رثوا بيروت الحزينة منذ ثلاثين سنة.

كان الشعراء في رثائهم للمدن يركزون على الأسباب التاريخية التي أدت إلى سقوط المدن، فيذكرون فساد الحكام، وانتشار الظلم، وتعفن المجتمع.

لكن الشعراء الذين رثوا بيروت، غنوا لها من حسنها في موتها، ولم يبكوا عليها.

محمود درويش اعتبر بيروت فضاء ، لا مدينة، كونا واسعا تفاحة البحر وزبده

أم البحر، وصرخته الأولى

قصيدة الحجر، وردة مسموعة، وشطرنج الكلام

منتصف اللغة

الخيمة الوحيدة والنجمة الوحيدة

نرجسة الرخام، وزنبقة الحطام

مسلخ الأحرار

لماذا حولنا - نحن العرب - بيروت إلى مسلخ للأحرار؟

هل لأنها مدينة رقيقة، وجميلة، ومسالمة كالعصفور الدوري؟

هل لأنها حقل اللؤلؤ، وميناء العشق، وطاووس الماء؟

هل لأنها بدون عسكر، ولا حراس ؟

هل لأنها لا تعرف غير الحب والجمال والغناء؟

هل لأنها بحر وشجر؟

ليل وقمر؟

فمتى يعترف العرب بأنهم أخطأوا بحق بيروت؟

بيروت المجزرة

لماذا جعلنا من بيروت مجزرة لكل أحرار لبنان، ولكل أحرار العرب؟

فمن أراد من الأنظمة العربية أن يتخلص من معارضيه يدفعهم إلى بيروت، دفع الكابوي لأبقاره عند المساء، لتدخل حظيرة الموت، استعدادا لسكين الجزار!

ومن أراد من الأنظمة العربية الخلاص من الأشقياء بالحرية، فبيروت هي المقصلة!

لماذا حولناها إلى نهر من الدماء؟

إلى فوضى؟

إلى عسكر وحرامية؟

إلى قاتل؟

إلى مفخخ؟

إلى سعيد ومسعود وأسعد وسعدان؟

إلى ذبح من الشريان إلى الشريان؟

مقبرة العرب الشوكية

معظم الأنظمة العربية من عهد عبد الناصر إلى الآن تخلصت من معارضيها في بيروت، مقبرة العرب الشوكية.

معظم القبائل العربية صفت أعداءها من القبائل الأخرى في بيروت.

بيروت (ست الدنيا) أحالتها الأنظمة العربية، بما فيها النظام اللبناني، إلى مقبرة ليست للغزاة، ولكن للهداة.

كل معارض حر من المثقفين والصحافيين العرب والمفكرين والسياسيين العرب، يعلم أن مقبرته في بيروت ، ورغم هذا يسعى

إلى الإقامة في بيروت، والموت في بيروت.
بيروت الممات
بيروت الحياة
بيروت قتلت أبناءها
بيروت الساحرة الفاتنة قتلت بحبها كل من أحبها.
قتلت أبناءها من الشيوخ والمفكرين والسياسيين والصحافيين الأحرار : نسيب المتني، كامل مروة، الشيخ حسن خالد، وسيم تقي الدين، إدوار صعب، نايف شبلاق، سليم اللوزي، رياض طـه، الياس شلالا، محمد الحوماني، حسن فخر، سهيل طويلة، حسين مروة، مهدي عامل، بشير الجميل، رينيه معوض، إيلي حبيقة، محمد شقير، سمير قصير، وقائمة طويلة من العرب والعجم.
ضدان لا يجتمعان: بيروت والاستبداد العربي.
لا أمن في بيروت وأنظمة القمع قائمة في العالم العربي.
لا أمن في بيروت ومقاصل الطغاة منتصبة في العالم العربي.
ضدان لا يجتمعان: بيروت والاستبداد العربي.
شرقان لا يلتقيان: بيروت السكر، وحكم العسكر.
ولن تصبح بيروت حديقة جميلة إلا بعد أن تسود الحرية والديمقراطية في العالم العربي كله، حيث لا نظام سياسيا يقدم على قتل أو خطف معارضيه في بيروت.

سراج الحرية

لن أرثي سمير قصير

خلص الكلام

لا كلام عندي يصلح لهذا المقام

معظم ما قيل تافه ومبتذل ومعجون بالكسل

لا كلام يليق بسمير، لقد استنفذنا كل الكلام

طحناه، علكنا الكلام، وطقطقنا به.

سمير يريد منا أن نستفيق

ونوقد النار.. نار الحرية

دم سمير زيت سراج الحرية

الحرب لم تنته

من قال لكم إن الحرب انتهت في بيروت؟

الحرب لم تنته بعد من بيروت !

ما زالت الحرب مستمرة منذ ١٩٧٥

المحاربون أخذوا استراحة قصيرة، وعادوا من جديد يحاربون.

عادوا يطلقون النار على الأحلام

على الحب وعلى البحر وعلى الشمس

عادوا يكسرون الأقلام

ويسرقون العمر الجميل

سرقوا (الروشة)، وسرقوا الزيتون، والكرز، ومناقيش الزعتر، وتمثال الحرية

سرقوا المسجد والكنيسة

سرقوا النهار

مجزرة القبائل

منذ ثلاثين عاما وبيروت لم تلد غير الموت، لم تلد زهرا ، ولا ورقا ، ولا ثمرا

لم ينـزل فيها مطر

لم تنبت فيها زهرة ياسمين

أصبحت مجزرة القبائل

فهل بقي ببيروت مكان لقبر آخر؟

الإرهاب والدين

التجارة الرابحة بالدين

* لم تكن التجارة بالدين الإسلامي تجارة رابحة كما هي في هذه الأيام.

ولم يصب رجال الدين مالا كما أصابوا في هذه الأيام.

ولم يكن رأي وفتاوى رجال الدين مطلوبة بإلحاح ومزاحما عليها كما هي في الأيام، بحيث اضطرت إدارة الجامع الأزهر إلى تخصيص وفتح خط تليفوني ساخن على مدار الساعة، لتلقي الأسئلة الدينية وإصدار الفتاوى مباشرة بشأنها.

ولم نر هذا العدد الهائل من الفتاوى التي تصدر يوميا كما نرى في هذه الأيام.

ولم تنتشر المعاهد الدينية والجامعات الدينية في العالم العربي كما انتشرت في هذه الأيام.

ولم يبلغ عدد طلاب الدراسات الدينية في العالم العربي كما بلغه في هذه الأيام.

ولم نجد في العالم العربي هذا العدد الهائل من الدعاة والهداة من الشباب ومن الشيوخ، من ذوي العلم الشرعي، وممن تنكبوا العلم الشرعي، كما نجد الآن.

ولم يصبح رجال الدين عموما من الشيوخ والشباب على هذا المقدار من الثروة الطائلة ورفاه العيش كما هم عليه الآن.

ولم نجد السلطات العربية العلمانية منها، والعلمانية المزيفة، والدينية منها، والنصف الدينية، تخشى رجال الدين وسطوتهم، كما تخشى منهم في هذه الأيام.

ولم نعهد مثل هذه المساحات الكبيرة في الصحافة العربية التي تخصص للصفحات الدينية، وهذه الساعات الطويلة من البرامج الدينية في الفضائيات، كما هي في هذه الأيام.

ولم نر رجال الدين عموما يؤيدون ويساندون الإرهاب وقادة الإرهاب ويطلقون على رأس الإرهابيين (سيف الإسلام)، و (شيخ الإسلام)، و (المجاهد الأكبر)، و(شيخ المجاهدين)، ويدعون له سرا وعلانية بالنصر المبين، وسلامة اليمين، وصدق اليقين. ويمتنعون عن إصدار فتوى بإهدار دمه، رغم أنه قاتل، قام بقتل المئات من المسلمين والمسيحيين واليهود والهندوس والبوذيين ومن كل ديانات الأرض والسماء الأبرياء، كما نرى في هذه الأيام.

فهل فقد العرب عقلهم، أم ماذا؟

رجل الدين هو الأول

لقد أصبح رجل الدين في العالم العربي في هذه الأيام هو الرجل الأول، وهو في المقام الأول، وهو صاحب الكلمة الأولى، والخطوة الأولى، والخطبة الأولى، والكرسي الأول، وفنجان القهوة الأول.

وأصبحت كلمة رجل الدين تغلق شارعا، وتفتح شارعا

وتغلق جريدة، وتطرد رئيس تحرير جريدة، أو مدير محطة تلفزيون أو إذاعة، وتهدد وزراء الثقافة بالطرد والمحاكمة، وتصدر الفتاوى بقتل المثقفين والشعراء وحرق كتبهم، ودواوينهم، ونفيهم من بلادهم إلى بلاد الغرب، وتهدر دمائهم على شاشات الفضائيات.

بل أصبح رجل الدين، يقوم بهدر دم تيار كامل من الليبراليين العرب بمجرد فتوى شخصية كما فعل الشيخ السعودي صالح الفوزان. كما يقوم رجل دين آخر بهدر دم تيار كامل من العلمانيين العرب ورميهم بالكفر والإلحاد، كما فعل الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه (وجها لوجه.. الإسلام والعلمانية)، دون أن يؤاخذ على ذلك، أو يحاسب من قبل الدولة، أو من قبل الرأي العام، أو منظمات حقوق الإنسان العربية، التي من المفروض أن تدافع عن أصحاب الرأي الآخر. ففتوى هؤلاء وغيرهم من رجال الدين لا تحاسب، ولا تعاقب.

رجل الدين هو الولي والوصي

وأصبح رجل الدين يتدخل في أدق تفاصيل حياة العربي، ويدخل بيته عنوة، ويفتشه عنوة، ويصادر ما يريد منه عنوة، ويقتاد رب البيت أو أبناء رب البيت إلى الحجز البوليسي عنوة، ويتهم رب البيت بالكفر والفجور عنوة، ويبصق في وجه النساء عنوة، ويتهمهن بالعهر والدعارة عنوة، كما تفعل (هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ولا حاجة له لأمر أو تفويض خاص من أية جهة رسمية.

وأصبح رجل الدين هو السياسي الأول - نتيجة لقصور وصغر عقل العربي - الذي يفتي بسائر المسائل السياسية، والذي بمجرد أن يرفع المصحف عاليا، تسقط كل الكتب الأخرى على الأرض، وتمزق، وتداس بالأحذية. وبمجرد أن يرفع شعار (الإسلام هو الحل)، تسقط جميع الشعارات العلمية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.

بل إن بعض رجال السياسة أصبحوا يتمثلون برجال الدين، ويقفون بدلا منهم على المنابر، ويلقون الخطب الدينية/السياسية، وهم يلبسون مسوح رجال الدين وزيهم، كما كان يفعل إسماعيل هنية في مساجد غزة في صلاة الجمعة، مثالا لا حصرا

ملايين الأسئلة كانت تبحث عن إجابات

عندما جاءت الأديان قبل آلاف السنين، كان الإنسان - بجهله، وتخلفه العقلي، وقلة معارفه - يبحث عن أكثر من مليون إجابة لأكثر من مليون سؤال مطروح في حياته، ولا يلقى لهذه الأسئلة جوابا، ويرد الأسباب المسببة للقوة الخفية.

ومع تقدم العلم، وارتقاء العقل البشري حقبة وراء حقبة، انخفض عدد الأسئلة التي تبحث عن إجابات إلى بضع مئات الآلاف من الأسئلة. ثم انخفض هذا الرقم مع تقدم العلم أكثر، ومع ارتقاء العقل البشري عشرات الآلاف من الأسئلة التي تبحث عن إجابات، فلا تجدها، وترد الأسباب المسببة للقوة الخفية.

وفي عصرنا الحاضر، وفي ظل تقدم العلوم هذا التقدم الباهر،

وفي ظل ارتقاء العقل البشري هذا الارتقاء المذهل، تقلص كثيرا عدد الأسئلة التي ليست لها إجابات، كما تقلصت كثيرا عدد الظواهر التي لا يجد لها العقل البشري مسببات أو أسباب، بانتظار أن يزداد تقدم العقل البشري، وتزداد معارفه، لكي يكتشف الإجابات الصحيحة للأسئلة الباقية.

عظمة العقل البشري

الروعة في العقل البشري - الغربي خاصة - في العصر الحديث، أنه لم يشغل نفسه كثيرا بالغيبيات، بل ركز على مجال واحد في التفكير والبحث والإبداع والإنتاج، وكل ما من شأنه أن يحسن ظروف الحياة، ويدع الإنسان يعيش هانئا في هذه الحياة.

فالعقل البشري الراقي، لم ينشغل بعدد السماوات مثلا، وهل هي سبع سماوات أو ثماني أو ست، بقدر ما انشغل في تحسين تكنولوجيا الطيران، وإنتاج طائرات أكبر وأضخم وأفخم وأكثر أمانا كما انشغل بتدقيق نبوءات الطقس، وجعلها أكثر دقة بكثير مما كانت عليه قبل خمسين عاما مثلا فالعقل البشري اليوم يستطيع تحديد درجات الحرارة اليومية، في أي يوم من أيام السنة بدقة متناهية. كما يستطيع تحديد اتجاهات الرياح وسرعتها، ومواعيد المطر، وكميات الثلوج التي ستسقط غدا، وهي كلها نتاجات علمية من أجل تحسين حياة الإنسان، وتيسيرها على هذا الكوكب.

كذلك لم ينشغل العقل البشري الراقي بأمور الجن، هل هي

موجودة أم لا؟

وهل يجوز الزواج بنسائها أو برجالها؟

وما حكم ذلك؟

وكيف يوزع ميراثها؟

إلى آخر هذه (الهبالات) و(التخاريف) والبذخ المجاني السخيف في الدرس، وفي تشتيت الجهد والتفكير والجدل.. الخ. بل انشغل العقل البشري الراقي في تنظيم حياة الإنسان تنظيما دقيقا، دون أن يترك جانبا ولو صغيرا أو تافها دون تنظيم وأحكام وإحكام.

رجال الدين وفوبيا النساء

كذلك لم ينشغل العقل البشري الراقي في شكليات المرأة وخصوصياتها، كأن يفرض عليها ما ترتدي وما لا ترتدي، وماذا تخفي من جسمها وماذا تظهر، وكيف تتعامل مع الذكر، وماذا عليها أن تتجنب، وماذا عليها أن تتخذ، وفرض القيم الاجتماعية والأخلاقية عليها التي كانت سائدة قبل قرون طويلة، دون مراعاة لتغير الحياة ومعطياتها بنسبة ١٨٠ درجة، ودون مراعاة لتغير القيم الاجتماعية والأخلاقية. بل انشغل العقل البشري الراقي في كيفية تعليم، وتربية المرأة، وترقيتها، وإيصالها إلى أعلى مرتبات المجتمع، والإشادة بجهودها، وكفاحها، وتقدمها، من أجل إعطائها المزيد من الحرية وامتلاك أمر نفسها وجسدها، حيث إنه ملكها وحدها، ولا يحق لأحد مهما كان، أن يفرض عليها كيف تصون

جسدها وتحفظه. في حين أن رجال الدين عندنا مشغولون ليلا نهارا بهذا الكائن الخطير والغريب، المأكول والمذموم، وهو المرأة.

فمرة يطلبون منها أن تتحجب أو تتنقب، أو أن لا تدع بيتها، وأن ترضع الكبير خوفا من الزنا. وتصدر الفتاوى اليومية تباعا بخصوص المرأة التي تسأل هي نفسها - نتيجة لجهلها وخوفها من بطش الذكور، وتخلفها، وقصورها العقلي - عن أدق وأتفه أمور حياتها. وهو إن دل على شيء، فإنما يدل على جهل المرأة، وجهل الرجل العربي بأمور حياته، وبأنهما ما زالا قاصرين عن تسيير أمور حياتهما دون إرشاد، وقيادة، وتبعية رجال الدين، وفتاواهم؛ لذا، أصبحت هذه الفتاوى الدينية ضرورية للعربي والعربية وبدونها يضيع الجميع، ويتوه الجميع، ويفقد الجميع بوصلة حياته. فنقرأ ونشاهد على شاشات الفضائيات في البرامج الدينية المختلفة، كيف أن عمل النساء، وتعليم النساء، وحيض النساء، وحجاب النساء، وضرب النساء، وهجر النساء، وخروج النساء من البيت، واختلاط النساء بالرجال، وعمل النساء بالسياسة، وعمل النساء بالقضاء والمناصب العليا في الدولة، وزينة النساء، وملابس النساء، ونكاح النساء، وختان النساء، يشغل الجانب الأعظم من فتاوى رجال الدين، الذين يسترزقون من وراء هذه الفتاوى رزقا كبيرا، ويصيبون حظا عظيما كما أن موضوع ختان الأنثى - بالذات - له من اهتمام الفقهاء - وخاصة من المصريين - الجانب الأكبر فيما يتعلق بالمرأة، التي أصبحت بذاتها قضية كبرى، فوق كل القضايا في العالم العربي. بل تربى لدينا - نتيجة لذلك - مرض نطلق عليه

(فوبيا النساء)، وهو الخوف والفزع من المرأة، ليس لأن المرأة وحش ضار، يمكن أن يفترسنا، أو يجرح، أو يؤذي أي ذكر يقترب منها، ولكن لأن هناك سلسلة طويلة من التحريمات والتوبيخات والتحذيرات من رجال الدين، تدعو إلى تجنب هذا المخلوق العجيب، وهو المرأة. ومنهم من يعد المرأة مخلوقا نجسا، ويحذر من عدم الاقتراب منها، أو الحديث معها، أو ملامستها، ونبذها، والاستخفاف بها، وبعقلها، وبدورها في المجتمع، مما ترك لدينا أثرا - نحن العرب فقط، بل جزءا كبيرا من العرب - هو أشبه بالمرض، والعقدة النفسية. وأصبحت (عقدة الجنس) والحرمان منه، إلا في إطار اجتماعي معين، مرضا استبد بالعربي، وعكس قصوره وتقصيره، في مختلف مجالات الحياة. فلا يمكن لأنثى إلا أن تكون هدفا جنسيا سريعا وملحا فقط، لأي ذكر عربي فيما لو اجتمعا، حيث سيكون الشيطان (الجنس) ثالثهما. وأصبح العربي - ومن حقه ذلك بعد كل هذا الحرمان- عندما يرى امرأة، لا يفكر إلا بفرجها، سواء في المدرسة، أو المعهد، أو المصنع، أو المكتب، أو الحقل، أو القطار، أو في الطريق. ويظل العربي يطارد المرأة من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، سعيا وراء ممارسة الجنس معها. ويقضي معظم حياته في هذه المطاردة. وأصبح الجنس أزمة ليس في الأدب العربي كما قال غالي شكري (أزمة الجنس في الرواية العربية)، ولكن في الحياة العربية كلها. بحيث لا نخطىء، عندما نرد الكثير من الفشل والخيبة العربية إلى أزمة الجنس في العالم العربي. فالتاريخ البشري يشكله عاملان

رئيسان: المال والجنس. والتاريخ العربي منذ فجر الإسلام حتى الآن تشكل بهذين العاملين. فبعد كل غزوة أو حملة دينية، كان العرب والمسلمون يعودون بالمال الوفير، والسبايا الكثيرة. فمنهن ما كان للمتاجرة كجوار وقيان، ومنهن ما كان لنكاح المتعة، كملك اليمين. وكان العرب سعداء بهذا الانفتاح الجنسي الذي جاء به الدين الجديد. وكانوا لا يعانون الحرمان الجنسي، ومن عقدة الجنس كما يعاني العربي الآن، كما يتبين لنا من قراءة الشعر العربي في العصرين الأموي والعباسي، ولتاريخ النساء في هذين العهدين. ولكن العربي الآن يعاني الآن من هذا الحرمان القاتل من الجنس، مما دفعه إلى الشبق، وإلى الحدة الجنسية. فقرأنا، وسمعنا، وشاهدنا الكثير من حوادث الاعتداءات الجنسية في المجتمعات العربية. كما لاحظنا بأن أكثر الموضوعات قراءة على مواقع الانترنت هي الموضوعات المتعلقة بالمغنيات والممثلات الحسناوات، والمتعلقة كذلك بالأمور الجنسية. والحرمان الجنسي والتسلط الديني على الجنس هو الذي أدى إلى كل هذا. ولكن الفرد العربي رغم هذا كل، ورغم هذه الرقابة الحكومية الدينية والأهلية الاجتماعية الصارمة على الاتصالات اليومية والوصل العاطفي بين الذكور والإناث من الشبان والشابات، التي تسعى للحيلولة بين لقاء الذكور والإناث معا، حاول كسر وهدم هذه التابوهات، وخرق الجدار العازل بين الذكور والإناث - وهو يكاد يكون الجدار الوحيد العازل في العالم الآن - بوسائل العصر الحديث، مستعيضا بها عن الغزو الديني، الذي كان يتم في

السابق، ويأتي له بالسبايا، وبفرص نكاح المتعة المجاني. إلا أن معطيات العصر الحديث من تليفونات جوالة، أو منقولة، أو محمولة، أو خلوية (وكلها أسماء لجهاز واحد هو Cell Phone) أو مزودة بكاميرات، إضافة إلى معاهد التعليم، ووسائل المواصلات الحديثة، ووسائل الإعلام، وبرامج المنوعات التي انتشرت بشكل كبير في الفضائيات العربية.. كل هذه الوسائل، قد مكنت الشباب والشابات - ولو قليلا - من الاتصال ببعضهم بعضا، إلى درجة أن بعض الشباب والشابات يمارسون الجنس مع بعضهم، من خلال التليفون الخليوي المزود بكاميرا.

فمهما حاول رجال الدين إقامة السدود والحصون في وجه الحياة الطبيعية للإنسان وفطرته بميله نحو الجنس الآخر، فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا ذلك أن طلب الحياة أقوى من أي موانع أخرى.

لماذا أصبح رجال الدين الآن قادة الركبان؟

* تحدثنا فيما سبق، عن ظاهرة مهمة في حياة العرب اليوم خاصة، وهي ظاهرة كثرة أسئلة العرب لرجال الدين عن أتفه الأمور، وعن أبسط التصرفات التي يمكن للإنسان العاقل البسيط أن يحسنها، كما يحسنها أي إنسان في أية بقعة في العالم، ممن لم يسمعوا بالإسلام، أو ممن يتخذون من العقل هاديا ومرشدا، دون الرجوع إلى رجل الدين الذي يعتبر في معظم الأحيان أكثر جهلا من سائل السؤال.

الدين: من رسالة إلى مهنة وتجارة

وقلنا، بأن التجارة بالدين عند العرب المسلمين خاصة، أصبحت على هذا النحو، هي التجارة الرابحة، التي يقبل عليها العالمون وغير العالمين، والشباب والشيوخ، والفقهاء والجهلاء، والأذكياء والأغبياء. والكل يسترزق من هذه المهنة (مهنة الدين)، بعد أن أصبح جل العرب الآن، لا يجيدون غير هذه المنهة، وهذه التجارة. فبعد أن كان الدين الإسلامي رسالة توحيد وتحرير ضد الجهالة، والشعوذة، وأفعال السحرة والدجالين، ودعوة للتفكر

والتفكير، تم اختطافه وامتطاؤه في هذا الزمان من قبل رجال الدين، ليكون عبارة عن مجموعة من الفتاوى الدينية اليومية الاسترزاقية التي تتسم بالجهالة، والشعوذة، وأفعال السحرة والدجالين.

أسباب أهمية رجال الدين اليوم

فما هي الأسباب التي جعلت من رجال الدين في هذا الزمان الرديء والمالح، قادة الركبان، وطليعة الفرسان، وسحرة البيان.

هناك أسباب كثيرة لذلك، منها:

١- تشجيع معظم الأنظمة العربية القائمة الآن، رجال الدين على إصدار الفتاوى فيما ينفع وفيما لا ينفع، وفي المهم والتافه، وفي الصغيرة والكبيرة، إلى درجة أن كيفية دخول الحمام في هذه الأيام أصبحت بحاجة إلى فتوى، وكيفية الأكل تحتاج إلى فتوى، وكيف طبخ الملوخية تحتاج إلى فتوى، وكيفية الاضطجاع تحتاج إلى فتوى، والإكثار من أكل الموز تحتاج إلى فتوى، ومشاهدة التلفزيون تحتاج إلى فتوى، وشرب الحليب الخالي من الدسم تحتاج إلى فتوى، ومشاهدة مسرحيات عادل إمام تحتاج إلى فتوى، وغيرها من توافه الأمور، وتفاصيل الحياة. وهو إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى انحطاط وسخف وتخلف العقل العربي - إن وجد- وعلى مدى أهمية رجال الدين في حياة العربي الآن في هذا الزمان الرديء والمالح. وهم يلعبون دور (المفتح بين العميان باش كاتب) كما يقول المثل العامي. وأهمية

رجال الدين في حياة العرب اليوم، هي الأهمية نفسها التي كانت لرجال الدين المسيحي في القرون الوسطى، وقبل الثورة على الكنيسة، وتحجيمها في الفرنين السابع عشر والثامن عشر، وحشرها في مهمة واحدة، وهي مهمة الهداية والإرشاد. ولم يعد الانسان الغربي الآن، بحاجة إلى قناديل القساوسة، لكي يجد طريقه الصحيح في الحياة. بينما ما زلنا نحن العرب الآن - مسلمين ومسيحيين - نسترشد بقنديل الشيخ والقسيس لمعرفة الطريق الصحيح، وهو إن دل على شيء - مرة أخرى- فإنما يدل على أننا ما زلنا أطفالا قاصرين بعقولنا، ووعينا، وإدراكنا، بحيث لا نستطيع وحدنا تمييز الطريق السليم من الطريق الخطأ. وهكذا تفعل بعض الحكومات العربية، التي لا تتخذ أمرا في السياسة، أو التربية، أو التعليم، أو الاقتصاد، أو الاجتماع، إلا بعد الحصول على ختم رجال الدين في هذا الأمر ومنح بركاتهم، مما يعني أن الحكام الفعليين في مثل هذه الأقطار هم رجال الدين، وأن هذه الدول، دول دينية بجداره، ولكن بقشرة مدنية أمام العالم الخارجي، لا تلبث أن تذهب بعد أول (حكة) بسيطة.

٢- الفراغ السياسي الذي أحدثه رحيل عبد الناصر في ١٩٧٠ وغياب الشمس الناصرية. وأحدثه حزب البعث في سوريا والعراق، بعد أن تحول من حزب يدعو إلى الحرية والديمقراطية إلى حزب ديكتاتوري فاشستي نازي مستأثر بالسلطة، ويضطهد القوميات الأخرى (الكرد مثالا لا حصرا) ويصادر

الرأي الآخر، بل يحكم بالإعدام على كل من يمارس أيديولوجية سياسية مختلفة عن أيديولوجيته الحزبية. ومثال ذلك القانون السوري رقم ٤٩ لعام ١٩٨٠، الذي يقضي بإعدام كل من ينتسب إلى جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، والذي ما زال قائما حتى الآن.

٣- خيبة الأمل الكبرى التي تركتها النخب السياسية القومية والاشتراكية والماركسية واليسارية عموما، منذ فجر الاستقلال في الأربعينات والخمسينات وما بعدها وحتى الآن. وسرقة هذه النخب الحاكمة للأوطان والشعوب، واستشراء الفساد المالي والإداري، مما أفقد ثقة الشعوب بهذه النخب. فبدأت الشعوب تبحث عن خيارات دينية بديلة، حتى وإن كانت مزيفة. وآمنت بقلبها وليس بعقلها، وبعواطفها وليس بواقعها أن (الإسلام هو الحل)، كما تدعي معظم الأحزاب الدينية السياسية في العالم العربي، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين المنتشرة في أنحاء العالم العربي كافة، وفي سبعين بلدا آخر في العالم.

٤- انتشار البطالة والفقر، وتقديم الأحزاب الدينية السياسية فرص عمل وقروض ميسرة للفقراء، مما أكسب هذه الأحزاب ورجال الدين العاملين معها، تعاطف وتأييد ومساندة الشارع العربي، الذي يتبع من يملأ له جيبه لا من يوقظه من سباته العميق، ويتبع من يطعمه لا من يقول له الحقيقة، ويتبع من يكسوه لا من يعري له الواقع.

٥- وجود معظم المال العربي والثروة العربية لدى دول كانت في الماضي تستمد شرعيتها من رجال الدين، ومن مذاهب فقهية معينة، وليس من خلال التنمية الشاملة التي أحدثتها طيلة نصف القرن الماضي. وقد بقيت هذه الدول رغم هذا الزمن الطويل، ورغم ما أحدثته من تنمية شاملة في بلادها، تستمد شرعيتها من رجال الدين، الذين ما زالوا يتدخلون في كل كبيرة وصغيرة، ويصدرون الفتاوى اليومية في كل شأن من شؤون الحياة.

٦- التوسع في التعليم الديني المتشدد حفظا وتلقينا، دون فتح الباب للاجتهاد والرأي الآخر. والسماح - نتيجة لظروف سياسية قاهرة - لفكر الإخوان المسلمين، ولفكر سيد قطب على وجه التحديد، بالتسلل إلى مناهج التعليم الديني وغير الديني، بما يحمل من حقد وكراهية مقيتة ضد الآخر، وضد الغرب خاصة.

ولذا، فإن الإسلام السياسي الإرهابي لم ينشأ من الوهابية فقط، كما يزعم ويعتقد البعض، وإن كان قد رضع بعض الحليب من ثديها، ولكنه نشأ بشكل رئيس في رحم وحضن وعلى صدر فكر الإخوان المسلمين في الأربعينات. ومن فكر سيد قطب في الخمسينات وبداية الستينات. لذا، فهو الابن الشرعي لفكر وخطاب الإخوان المسلمين، والذي رضع من ثدي الإخوان منذ ولادته حتى فطامه. والدليل التاريخي على ذلك، أن (الوهابية) كانت موجودة وسائدة في الجزيرة العربية منذ القرن الثامن عشر؛ أي

منذ قرنين ونصف الفرن تقريبا، ولم يتمخض عنها الإسلام السياسي الإرهابي كما هو الآن، في حين أن الاسلام السياسي الإرهابي تكون، وعشش في الرؤوس والصدور، منذ الستينات من القرن الماضي بعد إعدام سيد قطب عام ١٩٦٦، وبدأ تطبيقه العملي الإرهابي، منذ الثمانينات من القرن الماضي إلى الآن؛ أي منذ ربع قرن مضى تقريبا

٧- وأخيرا تحول الصراع السياسي/العسكري بين العرب وإسرائيل، إلى صراع ديني، بعد فشل النخب السياسية القومية والحزبية في حل الصراع العربي- الإسرائيلي سلما أو حربا فتحول هذا الصراع إلى صراع ديني. وقامت المليشيات الدينية المسلحة الفلسطينية، بإطلاق الشعارات الدينية على معركة لا تحسم، ولن تحسم إلا سياسيا، أو عسكريا، وليس دينيا وما زالت هذه المعركة قائمة. وستظل قائمة إلى يوم يبعثون، في زمن لم تعد للقوى الدينية أية فرصة بالنصر على الآخر. فالحروب الدينية انتهت بانتهاء الحروب الصليبية، منذ قرون عدة. ولكن التيار الديني السياسي العربي، أعاد سيرة هذه الحروب من جديد الآن. وبهذه الإعادة اشتد صوت رجل الدين قوة، وهو الذي أصبح الوقاد لهذه النار ولهذا الصراع الديني، يمده كل يوم بحطب الفتاوى، لكي يبقى متقدا وبذا أصبح رجل الدين هو صاحب القرار السياسي الديني، والذي لم يعد سياسيا، بقدر ما أصبح دينيا، يمت إلى سياسة ما قبل أربعة عشر قرنا ماضية.

الإرهاب والثقافة

* جناية المثقفين على الإرهاب جناية كبيرة. وقد بدأ هذه الجناية الإخوان المسلمون، حين باشروا بنشر فكرهم السياسي المرتبط ارتباطا وثيقا بالإرهاب، وأنشأوا (التنظيم السري) أو (التنظيم العسكري) في الأربعينات، الذي اغتال النقراشي باشا رئيس الوزراء المصري، وعددا آخر من الرسميين المصريين. وحاولوا اغتيال عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية ١٩٥٤. وكذلك بدأت جناية المثقفين على الإرهاب حين نشر سيد قطب كتابيه (معالم على الطريق) و (وفي ظلال القرآن) وغيرهما، والتي توجت سيد قطب لكي يكون، مفكر ومنظر الإرهاب الأول في الفكر العربي والإسلامي المعاصر.

قبائل المثقفين

كذلك فقد كانت جناية المثقفين العرب على الإرهاب من خلال أن معظم المثقفين والمفكرين العرب من يمين ويسار ووسط تورطوا في الخمسينات والستينات في أحزاب وفرق وأيديولوجيات مختلفة، وانقسموا إلى فرق، وشيع، وقبائل، وعشائر، أخذت

تتصارع وتغزو ديار بعضها بعضا وهذه الفرق والشيع ليست بين المفكرين العرب المعاصرين، وإنما هي أيضا ظاهرة عالمية مثلها في أوروبا وأمريكا. ولكن الظاهرة المميزة للمثقفين العرب في هذا العصر، هذا التعصب للأيديولوجيا على حساب الحقيقة، وهذا الانتماء القبلي السياسي والفكري على حساب العدل. وكان ذلك مما أضعف حركة الحرية، وجعل منها هذا التعصب أزمة حقيقية ما زالت كامنة في الفكر العربي المعاصر حتى الآن. ومن هنا كان عدم انتماء مفكر ما إلى (عصبة وعصابات)، كما دعا الروائي الأردني الراحل مؤنس الرزاز الأحزاب السياسية في روايته (متاهات الأعراب في ناطحات السراب)، أو الانتماء إلى حركة (غوغائية) كما دعا أنسي الحاج الشاعر والكاتب اللبناني التيارات والأيديولوجيات التي كانت سائدة في هذا العصر (كلمات، ص٦١)، أو الانتماء إلى قبيلة سياسية أو فكرية، نادرة من النوادر في الخمسينات والستينات من هذا العصر.

القديسون

فإذا وجد واحد منهم على غرار خالد محمد خالد، أو جبرا إبراهيم جبرا، ممن لم ينتسب إلى عصبة، أو قبيلة سياسية، أو فكرية، كان ذلك من جاد الزمان وزاد المكان، لأن مثل هذين الرمزين أقرب إلى القديسين منهما إلى بني البشر حين رفضا التنازل، ولم يوسخا تماسكهم الروحي بأية غوغائية. ووسط عالم عربي صاخب بالدعوات، بقي الكاتب عازلا نفسه عن الخديعة، مضمونا بحريته.

لماذا كان المثقفون جناية على الإرهاب؟

ويشرح لنا المفكر المصري حسن حنفي مؤسس تيار (اليسار الإسلامي) كيف كانت الثقافة والمثقفون جناية على الإرهاب مما رفع من وتيرة الإرهاب في العالم العربي، وجعل الإرهاب فيما بعد هو خبز العرب وعسلهم. وجعل من ظاهرة الإرهاب الشغل الشاغل للمفكرين العرب المعاصرين، وذلك نتيجة للآثار الكبيرة والكثيرة التي تركتها ظاهرة الإرهاب على المجتمعات العربية. ويتلخص شرحه بالنقاط التالية:

١- عدم نجاح أفكار وأيديولوجيات الخمسينيات والستينيات التي تبناها المثقفون، وظهرت فيها الدعوات القومية والاشتراكية والإسلامية والشيوعية. وتم التجويف التام لهذه الأفكار وهذه الأيديولوجيات، وانهيار مشاريع الإصلاح والنهضة، مما أدى إلى عدم القدرة على التعامل مع النظام العالمي الجديد، ومن الفشل على المستوى الثقافي والأيديولوجي والسياسي، والفشل في رؤية العالم في صورته الحقيقية. مما أصاب الأجيال بالإحباط، وجعلها تفتش عن وسيلة للانتقام الدموي.

٢- سوء العلاقة بين المثقف الحديث وبين الإسلام. فمن المعروف أن هذه العلاقة ظلت علاقة رفض دائم للإسلام. فكان الذين يكتبون في الإسلام في نظر المثقفين الحداثيين والعلمانيين العرب متهمون بالرجعية واليمينية. فنشأ لدينا فكر الرفض غير المحاور، وغير المؤمن بالحوار، والذي أفرز في الأخير ظاهرة

كظاهرة ابن لادن، التي لا تحاور، وإنما تستعمل لغة الموت وسيلة للحوار غير المجدي.
٣- عدم حدوث انقلاب ثقافي في حياتنا العقلية. وعدم بدء حضارتنا الأخذ بمسار جديد، ما زالت تتلمسه منذ حركات الإصلاح الديني الأخير، وبدايات الفكر القومي المعاصر، والاتجاه نحو الليبرالية في الفكر والحياة، التي سرعان ما خبت باجترار ذلك الجيل من الليبراليين في النصف الأول، وبدايات النصف الثاني من القرن العشرين، القوالب الذهنية القديمة في أوروبا. وهذا أدى بالتالي إلى انفصام في شخصية وبنية الفكر العربي المعاصر، كما أدى إلى ازدواجية الشخصية العربية.

علاقة الإسلام الملتبسة بالغرب

مما لا شك فيه، أن العلاقة الملتبسة بين الإسلام والغرب أدت إلى حجب كل قراءة هادئة في الواقع الإسلامي للتجربة السياسية والمعرفية في الغرب. ويقول وجيه قانصوه المفكر اللبناني، إن كثيرين ظنوا أن حداثة الغرب يمكن أن تشترى بالمال، وظن آخرون أنها تكتسب بالمحاكاة. ورفضها آخرون بمقولة، أنه يكفينا ما عندنا. وظل الغرب ذلك الآخر المعتدي الذي يشك بنواياه ودوافعه. ولم يتمكن العقل الإسلامي من أن يفصل التجربة المعرفية والموقف السياسي. ولم تساعد مواقف الغرب وممارساته على مدى أكثر من قرن على تحقيق هذا الفصل. وهذا يفسر سهولة استيعاب التراث اليوناني غير المعادي داخل الثقافة الإسلامية، وصعوبة هضم

الغنى المعرفي والتقني للغرب الحديث، رغم أن الفكرة اليونانية كانت بمثابة الأصل والمرتكز للفكرة الغربية نفسها.

فكانت هذه العلاقة الملتبسة واحدة من الأسباب الثقافية الكيميائية، التي ساعدت في المختبرات المظلمة على تفاعل ظاهرة الإرهاب، وبروزها على هذا النحو فيما بعد.

نماذج ثقافية مخزية

علينا أن لا ننسى، أن دفاع بعض المثقفين والمفكرين عن أنظمـة سياسية معينة، وعدم نقدها نقدا فكريا موضوعيا، والتغني بمنجزاتها في مجال الحرية السياسية والفكريـة، ما دام هؤلاء المفكرون جزءا من السلطة الممدوحة، أو ممن تلقى العطايا المالية من هذه الأجهزة كما حصل - مثالا لا حصرا - مع أمير اسكندر الكاتب المصري في كتابه عن صدام حسين (صدام مفكرا ومناضلا وإنسانا)، وفؤاد مطر الصحافي اللبناني في كتابه (صدام الرجل والقضية والمستقبل)، وحميدة نعنع في كتابها عن طارق عزيز (رجل وقضية)، وعشرات الكتاب والكتب الذين زوروا التاريخ، وقبضوا أموالا طائلة ثمنا لهذا التزوير. وهذا كله جعل القارئ في تيه مما يقولون، ولم يعد يتبين الحق من الباطل، والليل من النهار، والأسود من الأبيض. واختلطت عليه الآراء والأفكار، وتاه بين العين واللسان، وبين ما يرى وما يقرأ. ونضرب مثلا آخر على ذلك، وهو الباحث والسياسي السوري جورج جبور الذي كان يشغل مديرا لمكتب الدراسات العامة في رئاسة الجمهورية السورية

في الثمانينات. حين أصدر كتابه (الفكر السياسي المعاصر في سوريا) امتدح واقع الحرية في سوريا في الفترة ١٩٧١ وما بعدها، وقال مؤرخا: (وقد تأكد اتجاه الحركة التصحيحية نحو صيانة حريات المواطنين وكرامتهم. وكان من نتيجة هذا التأكيد، إلغاء كثير من التدابير القمعية، التي كانت سائدة، ولوحظ أثر ازدهار الحريات في مجالات حياتية وفكرية شتى). (الفكر السياسي المعاصر في سوريا، ص٣٠٣).

مروجو الديكتاتوريات

كذلك، فإن وقوف بعض المثقفين إلى جانب الديكتاتورية العربية، ودفاعهم عنها بحرارة شديدة، في ظل غياب الوعي، كان واحدا من أسباب أزمة الحرية العربية في الخمسينات والستينات على وجه الخصوص، عندما كانت أغلبية المثقفين العرب من اليسار إلى الوسط إلى اليمين، يطبلون، ويزمرون، ويهللون لعبد الناصر منصورا كـان أو مكسورا، صاعدا كان أو نازلا، عادلا كان أو مستبدا، مصيبا كان أو مخطئا فعندما حل عبد الناصر الأحزاب في الخمسينات ووضع زعماءها في المعتقلات والسجون، ونفى الرأي الآخر، ونكل بالمعارضة، ثم جاء بالميثاق في العام ١٩٦٢ وفصل ثوبا جديدا للحزب الديكتاتوري الواحد، هلل له بعض المثقفين الطليعيين، وقالوا له على لسان رجاء النقاش آنذاك: سلمـت يداك (فالأمـل كل الأمل في الاتحاد الاشتراكي الذي نرجوا أن يكون سدنا المعنوي العالي، خاصة في هذه المرحلة، التي

بلغ فيها المد الثوري العربي درجة من القوة، لم تتح على الإطلاق للأمة العربية، ربما منذ الثورة الإسلامية إلى اليوم) (التنظيم الشعبي والثورة الفكرية، مجلة الآداب، عدد٩، بيروت، ١٩٦٣). ومن الواضح هنا، أن رجاء النقاش كان يعني بالثورة الإسلامية هنا ظهور الإسلام. وبذا، وضع رجاء النقاش أهمية ظهور عبد الناصر وثورته، جنبا إلى جنب، مع أهمية ظهور الإسلام، وثورته.

تلك هي نماذج قليلة من جناية المثقفين، ومساهمتهم في ظاهرة الإرهاب، التي نعاني منها جميعا الآن.

وثيقة ارهابية جديدة مدموغة
بخاتم الأكاديمية

* أصدر الداعية الأصولي السعودي عوض القرني في ١٩٨٨ كتابه (الحداثة في ميزان الإسلام)، وكتب مقدمته الشيخ الراحل عبد العزيز بن باز مفتي الديار السعودية، وكفر فيه مؤلفه أكثر من مائتي كاتب، وشاعر، وباحث، وفيلسوف، وأكاديمي، وناقد، وصحافي عربي، من سائر أقطار العالم العربي، وأحل دمهم.

لماذا لا أثر لكتاب (الحداثة في ميزان الإسلام)
ورغم هذا لم يكن لذلك الكتاب من أثر كبير في ذلك الوقت، ولم يقرأه أو يطلع عليه الكثير من المثقفين في العالم العربي، سواء في المغرب أو في المشرق، وذلك للأسباب التالية:
١- أن هذا الكتاب كان ردا على حركة الثقافة العربية السعودية التي اجتاحت المنابر الثقافية السعودية في الثمانينات، والتي استعرضتها بشكل مفصل وموثق في كتابي (نبت الصمت، ١٩٩٢). ولم تكن الدولة راضية عن هذه الحركة كما لم تكن المؤسسة الدينية مسرورة من هذه الحركة. بل إن المؤسسة

الدينية السعودية حاولت محاربة هذه الحركة بالقصاص من رموزها الثقافية، فسحبت جامعة أم القرى شهادة الدكتوراه من الناقد الحداثي سعيد السريحي، ونقلت الدكتور عبد اللـه الغذامي والناقد الحداثي الغذامي من جامعة الملك عبد العزيز في جدة - حيث كانت أرض معركة الحداثة - إلى جامعة الملك سعود بالرياض، وحرمت الشاعر الحداثي محمد الثبيتي من عضوية نادي جدة الأدبي، وأوقفت الجدل القائم بين الحداثيين والسلفيين على صفحات جريدة (عكاظ) وجريدة (المدينة).. الخ. ولعل الحكم الذي صدر على الشاعر الحداثي علي الدميني في مايو ٢٠٠٥ بالسجن تسع سنوات من قبل محكمة دينية، بتهمة المناداة بالإصلاح السياسي لم يكن إلا انتقاما آخر من الحداثيين، من قبل المؤسسة الدينية السعودية. وهو الشاعر الذي ذكر ديوانه (رياح المواقع) بالاسم في كتاب سعيد الغامدي (الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها). وكذلك ذكر ديوان (التضاريس) للشاعر الحداثي محمد الثبيتي كعلامتين مميزتين لشعر الحداثة، المتأثر بشعر الحداثة العربي المكفر من قبل الباحث الغامدي في كتابه المذكور (ص ٦).

٢- تاريخ صدور هذا الكتاب كان تاريخ تأسيس (القاعدة) ١٩٨٨، وقبل سنة واحدة من انسحاب السوفييت من أفغانستان ١٩٨٩. كما كان تاريخ الحرب في أفغانستان بين الأصولية الدينية والمخابرات الأمريكية من جانب، وبين القوات

السوفيتية في أفغانستان من جانب آخر. وكانت الدولة السعودية والدول الإسلامية الأخرى إلى جانب (المجاهدين) في أفغانستان. وكان الرأي العام والشارع السعودي والشارع الإسلامي في معظم الدول العربية إلى جانب (المجاهدين)، يمولونهم بالمال، والعتاد، والرجال، والدعم الإعلامي، والمعنوي. وجاء كتاب عوض القرني في هذه الأجواء العاطفية والمواقف السياسية يصطف إلى جانب الأصولية الدينية التي كانت تحارب في افغانستان، والتي انتجت فيما بعد (القاعدة) وعناصرها المختلفة. فكان تحصيل حاصل.

٣- اعتبر هذا الكتاب رأيا شخصيا لباحث أصولي وسلفي متشدد، رغم أنه دمغ في ذلك الوقت بالدمغة الشرعية الدينية الرسمية، متمثلة بمقدمة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي الديار، والرئيس العام لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء، والدعوة، والإرشاد. وكان أخطر ما قاله الشيخ ابن باز في تقديمه لهذا الكتاب: (أحمد الـلـه الذي قيض لهؤلاء الحداثيين من كشف أستارهم، وبين مقاصدهم، وأغراضهم الخبيثة، وأهدافهم الخطيرة بهذا الكتاب. فقد كشف لنا مؤلفه عن عدو سافر، يتربص بنا، ويعيش بين ظهرانينا. ينفث سمومه باسم الحداثة). وفي هذا الكتاب، اعتبر الحداثيون أعداء للدين والوطن والناس، كما جاء في قول الشيخ ابن باز. وحقت عليهم اللعنة والمحاربة كأعداء. ورغم هذا بقي هذا الكتاب وما جاء به من آراء وفتاوى، في حدود الرأي الشخصي. ولم يكن

مستطاعا مقاومته، لوقوف السلطة السعودية، والمؤسسة الدينية السعودية إلى جانبه. وكان الحداثيون في ذلك الوقت قلة قليلة، من الشعراء، والكتاب، والصحافيين، والأكاديميين.

تاريخ الإرهاب الثقافي يعيد نفسه

ما حصل العام ١٩٨٨ يتكرر في ٢٠٠٣ ، حيث أصدر الباحث السعودي الأصولي ناصر الغامدي كتابا بعنوان (الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها) في أجزائه الثلاثة (٢٣١٧ صفحة). وفي هذا الكتاب يكرر الغامدي ما قاله الباحث السلفي عوض القرني، منذ ١٧ سنة، من أن دعاة الحداثة، وكتابها، وشعراءها، ومفكريها في العالـم، هـم كفرة، يجوز قتلهـم، و(أن أقوالهـم، وأعمالهـم، وعقائدهم، التي أذاعوها، توجب الحكم عليهم بالردة، وترفع عصمة الدم عنهم. إلا أنهم في الأجواء السياسية العلمانية المستوردة من الغرب، أذاعوا كل ما في صدورهم العفنة من كفر وإلحاد، في مراغمة ومعاندة للدين وأحكامه، وشرائعه، وعلمائه، ودعاته) (المجلد الثالث، ص ١٧٤٠).

الحداثة والعلمانية سموم، وخمور فكرية

ويقرن المؤلف بين (الحداثة) و(العلمانية) التي هي في رأيه (سموم فكرية)، و(مفاهيم ضلالية)، و(خمور فكرية). وأن من ينتمون لهذه الأفكار (همهم ترويج أصناف الزيف)، وقد (ضربت

عليهم عماية الجهل). (ومما يزيد الأمر سوءا، أن هؤلاء الممسوخين لهم نفوذ صارخ في أجهزة التوجيه والإعلام في كثير من بلاد المسلمين، ولا شغل لهم إلا نقل النفايات البشرية، أو المماحكة فيما فرغ الشرع المعصوم من تقريره، وإثباته. قضيتهم الكبرى، استيراد الآراء النظرية المتناقضة، وتخدير إحساس الأمة بآلاف الدواوين، والمسرحيات، والرسوم، والمقالات النقدية، وغير النقدية، من خلال الإثارة، والجاذبية، والمتعة الفنية، في الشعر، والرواية، والقصة، وتهريج المسرح ، وأصباغ الرسوم، ومن خلال صناعة النجوم) (ص ٣-٤).

زنادقة وملاحدة

ويلوم الباحث الغامدي المثقفين السعوديين الذين يرددون أفكار الحداثيين العرب. ويرمي أفكار الحداثيين بالزندقة والإلحاد. ويقول عن الحداثيين إنهم (يضاهون اليهود والنصارى والوثنيين - ببلاهة وغوغائية- في عبارات مطاطة، وألفاظ مبهمة، وتراكيب غامضة، إذا حققتها وجدتها التبعية والتقليد، ليس غير) (ص ٥).

ومن صفحة لأخرى، يؤكد الباحث الغامدي أن خطاب الحداثيين العرب، عبارة عن (الضلال، والزيغ، والإلحاد، والانحراف، والسخف، والتهافت، والانحدار، والتبعية، والغثائية، ونحو ذلك)(ص ١٢). ولهذا وجب إهدار دمائهم وإقامة مجزرة كبرى لهؤلاء.

مجزرة شنيعة ومقرفة للثقافة

وإذا كنا قد وصفنا من قبل كتاب السلفي عوض القرني (الحداثة في ميزان الإسلام) من أنه كتاب كتب بالسكين وبالدماء، وعلى جلود العرب الحداثيين المسلوخ، فإن كتاب سعيد الغامدي (الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها) كان مجزرة شنيعة، ومقرفة للثقافة العربية المعاصرة، نتيجة للأحكام المضللة السابقة، التي أطلقها على أكثر من مائتي عنصر ثقافي، من عناصر الثقافة الحداثية العربية المعاصرة.

ويكفي أن نصف كتاب الغامدي بأنه مجزرة ثقافية، من خلال اتهامه للشعراء العرب الحداثيين، بأنهم شعراء (الدعارة والعهر، والإلحاد، والكفر، والضلالة، والظلام. شعراء الشرك النجس، والفكر الدنس، والانحطاط، والتخلف، والمادية) (ص ١٧٦٢). وهو ما لا يليق بأي جزار في أي مسلخ حيواني أن يقوله، فما بالك بباحث أكاديمي، يقوله ويكتبه، في بحث أكاديمي في جامعة إسلامية رسمية، وشرعية، هي (جامعة الإمام محمد بن سعود)، ويمنح على بحثه المجزرة هذا، درجة الدكتوراه، مع مرتبة الشرف بامتياز!

لقد تحولت هذه الجامعة، التي منحت هذه الدرجة العلمية، لجزار ثقافي كسعيد الغامدي، إلى مسلخ ثقافي، ذبح فيه، وسلخ أكثر من مائتي مثقف عربي معاصر، ممن ذكرت أسماؤهم صراحة، وممن لم تذكر أسماؤهم.

كتاب أخطر من سابقه

إننا نعتبر هذا الكتاب أكثر خطورة من كتاب عوض القرني (الحداثة في ميزان الإسلام)، وذلك للأسباب التالية:

١- صدر كتاب (الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها) عام ٢٠٠٣، وهو العام الذي ارتفعت فيه وتيرة الإرهاب إلى حدها الأعلى في العراق والسعودية والمغرب ومصر وغيرها، إضافة إلى ما حصل في الغرب. وجاء هذا الكتاب - بما فيه من نصوص كثيرة - لكي يؤكد بأن التعليم الديني الظلامي والثقافة الدينية الظلامية الحالية، لها مفعولها الأكيد على رفع وتيرة الإرهاب في العالم العربي. وأن هذا الكتاب هو نموذج من نماذج هذه الثقافة الدينية الظلامية.

٢- لقد اتخذ هذا الكتاب طابع البحث الأكاديمي المدموغ بالخاتم الأكاديمي الديني الشرعي والرسمي، في (جامعة الإمام محمد بن سعود) بالرياض، ومن هنا تأتي الخطورة. فليس طابع الرأي الشخصي الخاص هو ما يميز هذا الكتاب، كما كان عليه الحال مع كتاب عوض القرني (الحداثة في ميزان الإسلام). وإن كان هذا الكتاب قد دمغ أيضا بخاتم مفتي الديار السعودية والرئيس العام لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء، والدعوة، والإرشاد، الشيخ ابن باز، ونال بركته، ورضاه.

٣- يأتي هذا الكتاب، في أجواء من الترقب والتصيد من قبل الغرب والشرق لكل هفوة، أو خطأ، أو خطوة غير محسوبة،

تدل على تبرير ارهاب الإرهابيين، وتشجع من قريب أو بعيد الإرهابيين على ارتكاب جرائمهم. ومن المحتمل، أن يستعمل هذا الكتاب من قبل الإعلام الغربي المتحفز، كدليل واضح على الوقوف إلى جانب موقدي نار الإرهاب من قبل المؤسسة الدينية السعودية، المرتبطة برباط قوي مع المؤسسة الأكاديمية الدينية السعودية، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض. وفي هذا ضرر كبير لكل الجهود التي تقوم بها السعودية لإبعاد شبح تهم التحفيز الديني على الإرهاب عن مؤسساتها الدينية والتعليمية.

جناية صمت المثقفين

كانت وما زالت الأصوات المحذرة لخطورة مثل هذه الأبحاث قليلة ومحدودة. وهي على قلتها ومحدوديتها، من النادر أن تجد لها منبرا تخاطب فيه العقل والعقلانية. فقد عانيت الكثير من وسائل الإعلام، لنشر رسالتي المفتوحة إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد اللـه بن عبد العزيز، والتي قلت فيها ما ملخصه (إن التزمت، والتشدد، والنظرة الضيقة إلى واقعنا وإلى العالم، هي التي أودت بنا إلى مهالك كثيرة في الماضي والحاضر. وإن التسامح، والجدل، بالحسنى، واحترام الرأي، والرأي الآخر، هو الذي أدى إلى احترام العالم لأفكارنا، ومبادئنا، ورسالتنا.

لقد وقع في المملكة العربية السعودية يا صاحب الجلالة حدث ثقافي خطير، يجب أن نتنبه إلى خطورته قبل أن يتنبه له

الآخرون، ويستغلوه للطعن في ثقافتنا، والنيل من قيمنا. وهو يتلخص بقيام الباحث السعودي سعيد بن ناصر الغامدي، طالب الدكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بكتابة رسالة دكتوراه تحت عنوان: (الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها) وبما أن المصائب لا تأتي فرادى، فقد قامت بمباركة هذه الأحكام الجائرة لجنة من أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الحكومية الرسمية، ومنحت الباحث درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى. وهذا يعني أن الأكاديميا السعودية الرسمية المتمثلة بهذه الجامعة وبأساتذتها، قد حرصت على إهدار دماء أكثر من مائتي مثقف في العالم العربي، مذكورين في هذا البحث بالاسم.

أعلم جيدا، إن المملكة العربية السعودية يا صاحب الجلالة، وهي تخوض الآن حربا لا هوادة فيها ضد الإرهاب المدمر لكل القيم الإسلامية والعربية الحقة والصحيحة، حريصة كل الحرص على أن لا تكون مثل هذه الأحكام صادرة عن جامعة حكومية رسمية كبيرة، تورط المملكة إعلاميا وديبلوماسيا

إننا نلتمس من جلالتكم الأمر بتشكيل لجنة تحقيق في هذا الموضوع الخطير، لتبرئة ذمة جامعة الإمام محمد بن سعود الحكومية من هذه الفتاوى الإرهابية بالجملة، والتي لا تخدم غير الإرهابيين داخل المملكة وخارجها).

انفلونزا الإرهاب

كذلك فقد قام الكاتب السعودي إسحق الشيخ يعقوب بكتابة

مقال (إنفلونزا الإرهاب) في جريدة (الأيام) البحرينية (٢٠٠٥/١٢/٨) هاجم فيه هجوما شديدا جامعة الإمام محمد بن سعود، وقال فيه (أما ثقافة التربية، والإرشاد، والتعليم، في التطرف، والتكفير، والإقصاء، وغلوائية المذهب، والتحوط بالفرقة الناجية من النار، وإقصاء الآخرين في جهنم وبئس المصير، فإني أحسب في ذلك اساءة كبيرة ليس للقيمة العلمية والإنسانية التي ترتبط بالاسم الأكاديمي للجامعة في حقيقة ما تحمل من معنى ومبنى في توثبها العلمي التاريخي في حياة الشعوب، وإنما إساءة لسماحة الدين الإسلامي الحنيف.

إن جامعة تلوح أمام القاصي والداني بثقافة التكفير، والإقصاء وتكريس مفاهيم التشدد والتطرف ، وتفريخ دعاة الظلام والإرهاب في نشر جراثيم انفلونزا الإرهاب داخل الوطن وخارجه جديرة بوصد أبوابها اليوم قبل بكره!)

وفي واقع الأمر، فهذه ليست جراثيم (إنفلونزا الإرهاب) ولكنها جراثيم (سرطان الإرهاب). ونحن بحاجة إلى مزيد من هذه الأصوات القارعة، لكي يصحو النائمون، وينتبه الغافلون، ويفيق المخدرون.

التص الكامل للرسالة المفتوحة

إلى خادم الحرمين الشريفين

جلالة الملك عبد اللـه بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين

السلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته:

لقد استبشرنا خيرا بتوليكم مقاليد الحكم، وبالخطوات الواثقة نحو التغيير الإيجابي، وتحقيق المستقبل الأفضل. ونرجو من اللـه أن يوفقكم لما فيه خير وصلاح هذه الأمة.

إن التزمت، والتشدد، والنظرة الضيقة إلى واقعنا وإلى العالم، هي التي أودت بنا إلى مهالك كثيرة في الماضي والحاضر. وإن التسامح والجدل بالحسنى واحترام الرأي والرأي الآخر، هو الذي أدى إلى احترام العالم لأفكارنا، ومبادئنا، ورسالتنا.

لقد وقع في المملكة العربية السعودية يا صاحب الجلالة حدث ثقافي خطير، يجب أن نتنبه إلى خطورته قبل أن يتنبه له الآخرون، ويستغلوه للطعن في ثقافتنا والنيل من قيمنا. وهو يتلخص بقيام الباحث السعودي سعيد بن ناصر الغامدي، طالب الدكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بكتابة رسالة دكتوراة تحت عنوان: (الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها) في عام (١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م) وتمت طباعة هذا البحث في جدة، وفي كتاب تم توزيعه وبيعه في أسواق المملكة وخارجها في (١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م). وفي هذا البحث يفتي الباحث سعيد بن ناصر الغامدي بردة أكثر من مائتي مفكر، وشاعر، وكاتب، وفيلسوف،

وباحث، وناقد عربي وسعودي معاصر، ويدعو صراحة لاغتيالهم، ورفع عصمة الدم عن هذه النخبة من المبدعين العرب. وبما أن المصائب لا تأتي فرادى، فقد قامت بمباركة هذه الأحكام الجائرة لجنة من أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الحكومية الرسمية، ومنحت الباحث درجة الدكتوراة بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى. وهذا يعني أن الأكاديميا السعودية الرسمية المتمثلة بهذه الجامعة وبأساتذتها قد حرصت على إهدار دماء أكثر من مائتي مثقف في العالم العربي، مذكورين في هذا البحث بالاسم.

أعلم جيدا، إن المملكة العربية السعودية يا صاحب الجلالة، وهي تخوض الآن حربا لا هوادة فيها ضد الإرهاب المدمر لكل القيم الإسلامية والعربية الحقة والصحيحة، حريصة كل الحرص على أن لا تكون مثل هذه الأحكام صادرة عن جامعة حكومية رسمية كبيرة، تورط المملكة إعلاميا وديبلوماسيا

إننا نلتمس من جلالتكم الأمر بتشكيل لجنة تحقيق في هذا الموضوع الخطير، لتبرئة ذمة جامعة الإمام محمد بن سعود الحكومية من هذه الفتاوى الإرهابية بالجملة، والتي لا تخدم غير الإرهابيين داخل المملكة وخارجها.

الإرهاب والحب

الحب في زمن الإرهاب

* أحبوا تصحوا.

فاليوم هو عيد الحب وعيد العشاق.

فلا وسيلة للقضاء على الإرهاب غير الحب.

الإرهابيون لا يحبون.

إنهم يبحثون عن الجنس قبل الحب.

ولو كان الإرهابيون عشاقا محبين، وكان للإرهابيين حبيبات على هذه الأرض، لما فجروا أنفسهم، وتركوهن لوطء الحور العين في الآخرة!

افتحوا أبواب الحب للشباب لكي تغلقوا أبواب الإرهاب.

هل تذكرون رواية (الحب في زمن الكوليرا) للكاتب الكولومبي ماركيز الحائز على جائزة نوبل ؟

لقد أصبح الإرهاب العربي الآن أشد خطرا على العالم من الكوليرا. ونحن بحاجة إلى الحب في زمن الإرهاب/الكوليرا.

أسئلة حائرة

فهل العرب يحبون الآن؟

هل ما زال في العرب عشاق يجنون، ويبكون، ويتألمون، وينظمون الشعر الجميل.
هل مضى عصر الرومانسية العربية الرائعة؟
هل انقضى عهد قيس وليلى، وكثير ولبنى، وجميل وبثينة؟
هل ما زال صوت الأخطل الصغير، وأحمد شوقي، وأحمد رامي، ونزار قباني، يصدح في قلوب الشباب العربي حتى الآن؟
هل انقضى عصر الحب العربي، واستبدل العرب الحب بالإرهاب ؟
هل انصرف الشباب العربي عن الحب الأرضي والعشق الأرضي، وحلموا بحب الحور العين في جنان الرضوان، لذا تراهم كل يوم يفجرون أنفسهم بالأحزمة الناسفة، لا هربا من جور الأرض وطغيانها، ولكن حبا في لقاء الحور العين، اللائي لا يبرى حبهن، ولا تمل معاشرتهن؟
لماذا لا نرى كثيرا فتيات إرهابيات؟
هل لأن الجنة فيها حور عين للفتيان فقط، وليس فيها (فالنتينيوات) للبنات؟

نعم للحب
من يتأمل المجتمع العربي في عيد الحب هذا العام، يرى على عكس ما يراه علماء الاجتماع والسياسة.
يرى أن هذا المجتمع قد أصبح رومانسيا وناشدا للحب أكثر من ذي قبل، رغم هذا السيل العرم من دماء الإرهاب الذي يتدفق كل

يوم في بعض الشوارع العربية.

يرى أن المد الرومانسي قد طغى في كثير من الأحيان على المد الإرهابي الدموي، وإن كان صوت الطلقات، وصوت السيارات المفخخة، وصوت الأحزمة الناسفة، أعلى من صوت نانسي عجرم، وأمل حجازي، وإليسا، وباسكال مشعلاني، وهيفاء وهبي، وغيرهن من حوريات هذا الزمان.

يرى أن أغاني الحب لم تعد حكرا على أم كلثوم، وفيروز، ونجاة الصغيرة، وفايزة أحمد، وصباح، وإنما أصبحت أغاني الحب مشاعا لكل صوت جميل، وقد رشيق.

لم تعد كلمات الأغاني الرقيقة والصوت الجميل، هي جواز السفر إلى قلوب العشاق والمحبين، كما كان الحال في الماضي، ولكن أصبح الوجه الجميل، والقد الرشيق والأداء الأفعواني الراقص، هما جواز السفر إلى قلوب العشاق والمحبين.

عولمة الحب العربي

نعم، لم يعد هناك حب على الطريقة العربية.

اختفى الحب القومي، والحب العروبي، وحب ابنة العم، وابنة الخالة، والجارة.

اختفت تقاليد الحب العربية، وشيم الحب العربية.

لقد تعولم الحب العربي.

أصبح الحب في هذه الأيام على الطريقة الأمريكية كما هو الطعام، وكما هو الشراب، وكما هو الملبس، وكما هي الديمقراطية،

وكما هو بناء الدول أيضا!

استبدل العرب الطرب التركي (أمان.. أمان، ويا ليل يا عين) والموشحات الأندلسية بالغناء الأمريكي (الفيديو كليب)، واستبدلوا هز البطن العثماني الممل، بهذا الرقص الأفعواني الأمريكي المثير، الذي تؤديه حور الأرض العربية على شاشات الفضائيات (عينك عينك).

فالعربي الجائع اليوم، يأكل خبزا بغض النظر عن الخباز.

الحب العربي الجديد

لم يعد العربي ينتظر حبيبته تحت نخلة في الصحراء أو بمقربة من بئر ماء حيث ترد جمالها ومواشيها للسقيا، أو على ضفاف جدول ماء في الوادي، أو في زاروب البلدة، أو في زقاق المدينة تحت ضوء القمر.

أصبح المحبان يتقابلان في فناء المدرسة، وفي (كامبس) الجامعة، وفي مدرجات الملاعب الرياضية، وفي المقهى، والبار، والمرقص، والنادي الليلي، وفي برنامج (ستار أكاديمي)، أو (سوبر ستار) وغيرهما من البرامج.

لم يعد الأحبة يهتمون بالسياسة، وبالتصويت للحرية والديمقراطية، قدر اهتمامهم بالتصويت للنجوم الجديدة الصاعدة في عالم الغناء والغنج.

السوبر ستار المصري محمد عطا، خريج برنامج (ستار أكاديمي) أصبح أشهر من رمسيس!

لم يعد العربي، يناجي حبيبته من الشباك للشباك، ومن الشرفة إلى الشرفة، ويرمي لها من بعيد وردة حمراء في عيد الحب، بل أصبح يقابلها ويذهب معها إلى المرقص الليلي ويقضيان ليلة صاخبة على أنغام (الجاز)، و(الراب)، والإيقاعات الأمريكية.

السلامة والندامة

ماذا نقول في الحب في عيد الحب هذا اليوم؟

- في الحب السلامة، وفي الإرهاب الندامة.
- أحبوا كثيرا وبعمق، فقليل من الحب لا يكفي.
- الحب الحقيقي متاع الدنيا والآخرة.
- الحب طائر الجميع الجميل في العالم كله.
- الحب هو العملة الوحيدة عابرة القارات التي تصرف في أي مكان، وفي أي زمان، ومع أي انسان.
- الخوف من الحب هو الخوف من الحياة.
- في الحب: واحد زائد واحد يساوي واحدا!

* في هذا البحث، نحاول أن نضيء بعض جوانب فناء الغناء الجديد المضاء إعلاميا بسطوع باهر. وربما يستهجن بعض القراء إدراجنا هذا البحث في هذا الكتاب.

حور عين في الأرض والسماء

فما هي علاقة هذا الفن بالإرهاب، وهو الموضوع الرئيس في هذا الكتاب؟

والجواب على ذلك، أن احتضان فن الغناء الجديد الذي تقدمه مجموعات من الشباب والصبايا المغنين والمغنيات في لبنان ومصر وسائر أنحاء الوطن العربي، هو الحافظة للشباب من الالتحاق بحلقات الإسلام السياسي المتشدد، وبالتالي الإصابة بجنون الجهاد، والإرهاب، بوعد بالحور العين. فقد فضل جزء كبير من الشباب العربي، الحور العين في الأرض، على حور عين السماء الأسطوريات والخياليات. لذا، فنحن نشجع هذا الفن رغم تفاهة الكثير منه. ولكن هذه التفاهة، تظل أفضل بكثير من التفاهة الدينية، التي تدفع الشباب في لبنان، والعراق،

والسعودية، والمغرب، ومصر، وغيرها من بلدان العالم العربي إلى تفجير أنفسهم كانتحاريين، أملا بمضاجعة الحور العين في السماء، حيث الجنس الأسطوري الملتهب، الذي لا يجف ولا يخف

النقد الثقافي من جديد

النقد الثقافي منهج كنا قد أعلناه وكتبنا فيه عدة كتب جاوزت الأربعين كتابا، منذ عام ١٩٦٤ وحتى الآن. واليوم نود أن نمارسه من جديد، بعيدا عن السياسة العربية وهمومها، وحتى يتبين لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود، في فلسطين، والعراق، ولبنان، ونواح أخرى من العالم العربي، وتتمخض الجبال العربية عن أسود ونمور، وليس عن فئران وأرانب، دعونا نلتفت إلى ظاهرة مهمة، وحية، وشديدة التأثير في الحياة العربية المعاصرة الآن، وهي ظاهرة الغناء العربي الشبابي الجديد، الذي أخذ يستقطب مجموعات كبيرة من الشباب والشابات، في أنحاء الوطن العربي كافة، ويؤثر تأثيرا ثقافيا واضحا في الجيل العربي الطالع، من حيث أنه يشبكه بالحداثة الفنية، وبالليبرالية الاجتماعية، التي قد تؤدي إلى الليبرالية السياسية، ويبعده عن مصائد شبكات الإرهاب التي تصطاد الشباب وتجندهم لمزيد من العمليات الإجرامية في المستقبل.

الغناء الجديد سلاح في وجه الإرهاب

فهل هذا الغناء الجديد، سلاح حاد في وجه موجات الإرهاب

التي تجتاح العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه، وعلينا أن نشجعه؟ فالوقوع في غرام نانسي عجرم، أو أليسا، أو روبي، أو هيفاء وهبي، أفضل بكثير من الوقوع في شباك ابن لادن، والظواهري، وأبو أيوب المصري. بل إن هذه الحوريات الحقيقية، أكثر آمانا وأمنا للشباب المنتحرين من حوريات خيالية وسحرية في الجنة.

وهل مهاجمة بعض أشياخ الدين، وخاصة في منطقة الخليج، لهذا النوع من الغناء الراقص أو الرقص المغنى، سببه أن هذا (الفن) يقصي الشباب الطالع عن الانخراط في صفوف (المجاهدين)، ويضمهم إلى صفوف (الراقصين) و (المغنين)، ويحفظ دموع أمهاتهم ولوعة آبائهم، يوم يقيمون لهم أعراس الدم، بدلا من أعراس العطر؟

لعمري، إن انخراط هؤلاء الشباب في صفوف الراقصين والمغنين، أكثر سلامة، وأكثر نجاة لهم، من الانضمام لقوافل النحر والانتحاريين.

تحية كاريوكا وإدوارد سعيد

دهش معظم المثقفين من الدينيين والليبراليين على السواء، عندما كتب إدوارد سعيد مقاله الجميل (تحية إلى تحية، ١٩٩٠) عن الراقصة الشهيرة تحية كاريوكا، بعد أن قابلها في القاهرة ١٩٨٩، وأجرى معها حديثا مطولا، ونشر المقال بعد ذلك في كتابه (تأملات حول المنفى، ٢٠٠٤). وتساءل معظم المثقفين: كيف تكتب قامة من قامات الثقافة العالمية كإدوارد سعيد عن

راقصة شعبية مثل تحية كاريوكا، لا دور لها في الثقافة العربية عموما ولكن حجة سعيد كانت أنه يكتب عن رمز من رموز الفن، والتسلية الشعبية، التي كان لها دور في الحياة الفنية العربية، من خلال تحليل سعيد للغة الجسد - حيث ينتج الجسد لغة بيئته - التي كانت تقدمها كاريوكا، ثم دور آخر سياسي/ثقافي، عندما تحولت تحية كاريوكا من راقصة ملتهبة إلى ممثلة مسرح سياسي مكشوف ومباشر.

وكانت تبريرات سعيد تنصب في أسباب ثلاثة كما رصدها علي بدر في (إدوارد سعيد وتحية كاريوكا : البوب آرتس وبولطقيا الجسد في الدراسات ما بعد الكولونيالية):

١- بروز دراسات البوب آرتس والثقافة الشعبية وأبحاث الفن الشعبي العفوي والمجاني، كفرع من فروع تيار ما بعد الحداثــة.

٢- بروز تيار ما بعد الكولونيالية في دراسة بولطقيا الجسد، حيث يكون جسد تحية كاريوكا هو السطح الذي تنقش عليه الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية نفسهـــا.

٣- الاهتمام الذي أولته النظرية النقدية المعاصرة للكيانات المقموعة والمهمشة من الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، مثل النساء، الزنوج، الفقراء، الأقليات الدينية، والعرقية، والأثنية.

وإذا كان إدوارد سعيد يدرك أن (دور تحية كاريوكا هو نوع من النصية التي ما من سبيل قط إلى تجاوزها على الإطلاق، أو إهمالها، وإخفائها، أو التنكر لها، ومجافاتها، والتحايل عليها). فكذلك هي أغاني جيل نانسي عجرم المستهجنة والمرفوضة، من قبل المؤسسات الدينية، والفنية التقليدية.
وإذا كان إدوارد سعيد يعتبر أن فن الرقص عند تحية كاريوكا (نص كامل ومنجز في الإطار النصي- الثقافي الذي يحرك ميدانا كاملا من الأفكار والعلاقات، ويبرزها في إطار خطابي متجانس من التاريخ الثقافي العربي، في الحقبة الأولى من تشكل المدينة العربية وتأسيسها على أساس كولونيالي. وهو منجز مكتمل، تم تحققه من خلال بنية خطابية متكاملة من علاقات اجتماعية، وثقافية، وسياسية، وتاريخية، وأدبية، وإثنية)، فكذلك كانت أغاني جيل نانسي عجرم، وجمهورها الذي خلع ربطات العنق، والبذلات الداكنة اللون، وفساتين السواريه، وعقود اللؤلؤ (جمهور أم كلثوم وعبد الوهاب) وارتدى قمصان نصف كم (تي شيرت) الملونة والجينـز (جمهور جيل نانسي عجرم) . وأصبحت أغاني هذا الجيل تعبر عن مرحلة اجتماعية وثقافية، عجز الشعر، وعجزت الرواية والمقالة، وعجزت السينما العربية عن التعبير عنها. بدليل انصراف الجمهور عن هذه الأجناس الثقافية، وإقباله إقبالا كبيرا على أغاني جيل نانسي عجرم، الذي أصبح يوزع ملايين النسخ من إنتاجه الغنائي.

(عوالم) القرن الحادي والعشرين

كان القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يعج بـ (العوالم) من الراقصات المغنيات في الوقت نفسه. وقد تحدث عن دور العوالم الرحالون الأوروبيون الذين زاروا الشرق في القرن التاسع عشر أمثال الباحث السيسيولوجي الانجليزي ادوارد لين، والروائي الفرنسي غوستاف فلوبير. وكانت (العوالم) كما قال إدوارد سعيد ذوات إنجازات بارزة في الرقص والغناء معا وفيلم (لعبة الست) بطولة تحية كاريوكا، كان أصدق من صور واقع (العوالم) في مصر. وجيل نانسي عجرم من المغنيات الراقصات هن (عوالم) القرن الحادي والعشرين. وهن نموذج للنساء الخود الفاتكات للرجال بجمالهن وسحرهن. فلا يبعثن في الناظر غير المتعة الجنسية. و(الفن هو هذا الخيال الجنسي)، كما يقول الناقد المسرحي الأمريكي جورج ناثان. والجنس هو محرك رئيس في الحياة العربية المنغلقة منذ ١٤ قرنا وإلى الآن. والإسلام استعمل شتى الوسائل لكي يقبل العرب على الإسلام. واستعمل الإسلام الجنس من ضمن مغرياته للعرب، ومن دعاهم إليه. فسمح بالزواج من أربعة نساء، دون بقية أديان السماء الأخرى. وسمح بنكاح المتعة، وعبر عن الزواج بكلمة (النكاح) وهي كلمة دالة ومثيرة للفعل وللخيال الجنسي، خاصة في قول القرآن الكريم {وانكحوا ما طاب لكم من النساء}. واستعمل هذه الكلمة ١٦ مرة في القرآن. ولم يستعمل القرآن كلمة (الزواج) بدلا من (النكاح). إضافة لذلك، فإن العرب بشروا بالحور العين إذا هم أسلموا كوسيلة من وسائل استعمال

الجنس لكسب مزيد من الداخلين في الإسلام، وباعتبار أن التاريخ يشكله عنصران: الجنس والمال. والحور العين في الجنة اللائي ذكرن أربع مرات في القرآن (سورة الدخان، الطور، الرحمن، والواقعة) هن الدافع الرئيس للذين ينتحرون، ويقودون السيارات المفخخة في شوارع العراق والسعودية وغيرها. وقد قيل إن هؤلاء الانتحاريين يربطون على أعضائهم الذكرية حين ينتحرون، وذلك لكي تبقى سليمة وقوية وصالحة للاستعمال يوم القيامة!

ما الجديد لدى جيل نانسي؟

رقص جيل نانسي عجرم الإيحائي المصاحب للغناء أو الرقص الغنائي، ليس بالجديد، ولا يستأهل كل هذه الضجة الإعلامية التي يقيمها ولا يقعدها بعض رجال الدين، صبحا ومساء

ولكنه الزمن الرديء يا صاح

فأغاني الأفلام المصرية القديمة والجديدة مليئة بالغناء الراقص، أو الغناء المصاحب لراقصة ثلاثة أرباع جسدها عار وهذا الرقص يذكرنا بجواري الأمويين، والعباسيين، والعثمانيين، والمماليك. وقد أتقن الرقص الشرقي الإيحائي الذي شبهه إدوارد سعيد بمصارعة الثيران، ذات الحركات الذكية القليلة البطيئة. ونحن لم نكن نستمتع بمنظر أم كلثوم، ذات القسمات الصارمة والجسم المكتنـز، والرقبة الغليظة، والذقن اللحيمة، وهي تغني. وكنا نفضل أن نسمعها لا أن نراها. ولو كانت أم كلثوم، ذات قد ممشوق كنانسي عجرم، أو أمل حجازي، أو إليسا، أو هيفاء وهبي، لكانت

بمثابة معجزتين في معجزة ضخمة : معجزة الصوت، ومعجزة الجسد.

أغلى نساء العرب

(عوالم) القرن الحادي والعشرين، من جيل نانسي عجرم، هن أغلى نساء العرب الآن (يقال إن رجل أعمال خليجيا دفع عشرين مليون دولار مهرا للزواج من المغنية الراقصة اللبنانية هيفاء وهبي) (إيلاف، ٢٠٠٥/٧/٢٨). وهن مطمح وحلم رجال المال والسياسة والفن والقانون والجيش والبوليس السري في العالم العربي (زواج علي حسن سلامة قائد المخابرات الفلسطينية في لبنان من ملكة جمال الكون اللبنانية جورجينا رزق)، كما كان عليه حال (عوالم) بداية القرن العشرين. وأصبحن بذلك، مثارا للغرائز الحسية، لكنهن بقين نائيات، يستحيل على شخص من الطبقة الوسطى نيلهن، لغلاء ثمنهن، وتكاليف معيشتهن، وسرعة فراقهن، والخلاف معهن.

أهمية جيل نانسي عجرم

سألت إذاعة البي. بي. سي (٢٠٠٥/٩/١٩) المفكر الإسلامي عبد الوهاب المسيري عن رأيه في جيل نانسي عجرم، فكان جوابه، أنه طالب جماعات الدفاع عن حقوق المرأة بالاحتجاج على هذا الغناء الراقص، باعتباره امتهانا للمرأة.

فلماذا لم يحتج المسيري على جيل الراقصات تحية كاريوكا،

وسامية جمال، ونجوى فؤاد، وفيفي عبده، ولوسي، وسهير زكي، وغيرهن. وعلى الجيل الذي تلاهن وبلغ الآن في مصر ٣٨٢ راقصة، إضافة إلى وجود ١٤ ألف راقصة أجنبية (فضائية العربية نت ، ٢٠٠٤/٨/١٨) وتستضيف القاهرة المهرجان الدولي للرقص الشرقي؟

إن أهمية نانسي عجرم وجيلها، هي أنها ساهمت في تغيير الذوق العربي. فنقلت الذوق العربي من العباءة السوداء إلى الجينـز الأزرق، ومن التخت الشرقي التطريبي إلى الغناء الراقص الذي يسمع بالأذن والعين معا، ومن الميجانا والعتابا إلى (أخاصمك آه)، ومن الأغنية المخدرة، وكأنها (سيجارة حشيش) إلى الأغنية الراقصة المحفزة على الحركة، وكأنها كأس عصير فاكهة، ومن الأغنية الطويلة المعلقة إلى أغنية السطر الواحد المكرر، استجابة لسرعة وقع الحياة الحديثة. كما تكمن أهمية جيل نانسي عجرم في الاستجابة لنبضات العصر الدقيقة السريعة، والحضور في المشهد الغنائي الإنساني.

فهذا الجيل يغني الآن كما يغني العالم، ويرقص كما يرقص العالم، ولكن بطعم ونكهة عربية شرقية. وهذا بحد ذاته دور تغييري محدود، قام به هذا الجيل في العالم العربي. وقد فطنت إلى ذلك مجلة (نيوزويك) الأمريكية (الطبعة العربية) التي قدمت جوائز في العام ٢٠٠٥ إلى ٤٣ شخصية عربية، ساهمت في التغيير العربي، كانت نانسي عجرم، والكاتب الروائي السوداني الطيب صالح، ومحمود درويش من بينهم. واعتبرت نانسي عجرم

ذات دور ثقافي تغييري، مثلها مثل محمود درويش، والطيب صالح، والمخرجة الجريئة إيناس الدغيدي، وغيرهم ممن شملهم اختيار مجلة (نيوزويك).

دور حضاري

إن الدور الذي لعبه جيل نانسي عجرم من المغنيات والمغنين والراقصين والراقصات، كان سببا في الحد من تأثير الكثير من القيم الاجتماعية القبلية والتقليدية. لذا، فقد كانت أعنف الحملات العدائية التي شنت عليهم من التقليديين الأصوليين في بلدان الخليج خاصة. كما كان هذا الجيل من المغنيات والمغنيين سببا في تخفيف عدد الشباب المنتمين إلى الجماعات الدينية الأصولية الإرهابية، بعد أن فقدوا الأمل بالمستقبل. ولكننا بالمقابل، ويا للمفارقة، نرى أن شعب الخليج العربي، هو أكثر الشعوب العربية اهتماما بهذا الجيل (الملعون)، وأن أكثر حفلات هذا الجيل تقام على مسارح الخليج، وفي مرابعه.

فجيل نانسي عجرم، رد الشباب من ساحات الموت والإرهاب إلى ساحات الحب وطلب الحياة، من خلال هذه الآلاف من الشباب والشابات الذين يحتشدون في المدرجات الصيفية في جرش، وقرطاج، ومراكش، ودبي، وغيرها من المرابع الغنائية العربية الراقصة، وهم متوقدون فائرون بدم الحياة، مقبلون على حب الحياة، والإصرار على استمراريتها بالحب، وألحانه، وأغانيه، وموسيقاه، ورقصاته، وأحلامه، لكي يبقى الكون عامرا

لماذا كفروا هذا الجيل؟
إن كل أغنية، وكل ألبوم، من ألبومات جيل نانسي عجرم هو دعوة ضد الموت والإرهاب. ومن هنا أطلقت بعض المؤسسات الدينية على نانسي بأنها (كافرة). ومنعت بعض الفضائيات تقديم أغانيها الراقصة. كما منعت بعض الدول العربية دخول أشرطتها وألبوماتها الغنائية إلى أسواقها خوفا على التقاليد الاجتماعية والدينية، في حين أن أسواق هذه الدول تعج بكتب السحر، والشعوذة، وعذاب القبر، وضرورة (الجهاد) ، وأشرطة الأصوليين الإرهابيين، التي كانت من الأسباب الرئيسية لدخول كثير من الشباب جهنم الإرهاب وجحيمه، أملا في ممارسة الجنس مع الحور العين. كما أطلق بعض رجال الدين على الفنانة هيفاء وهبي بمناسبة خطوبتها لرجل أعمال خليجي (خضراء الدمن) التي قال فيها الرسول الكريم (إياكم وخضراء الدمن) ؛ أي (المرأة الحسناء في المنبت السوء)(موقع واحات صحارى) .

هل هؤلاء من سيفتح لنا أبواب العولمة؟
وفي الواقع فإن احتقار المؤسسات الدينية ورجال الدين لمثل هذا الفن، نابع من علمهم بأن هذا الفن، وهذا الإقبال الشديد عليه (في حفل نانسي عجرم، مايو ٢٠٠٥، في ساحة جامع الفناء بمراكش أقبل أكثر من مائة ألف شاب وشابة على الحفل) من قبل جمهرة الشباب، سوف يفتح غدا أبواب العولمة وأبواب الحداثة على مصراعيها، أمام المجتمعات العربية الشابة حيث ستجد العولمة

والحداثة أرضا خصبة من الشباب المتفتح للأفكار الجديدة والعالم الجديد. ويصرف هؤلاء الشباب، عن جهاد (الكفار) واللحاق بركب (القاعدة) الإرهابي، وهو ما لا تقبله المؤسسات الدينية التي تريد من الشباب التوجه نحو (الجهاد) ضد الكفار الأجانب، بدلا من تبني فنهم وتبرجهم.

ولم يقتصر هجوم المؤسسات الدينية على فن جيل نانسي عجرم بل إن جيل أم كلثوم أيضا سبق أن نال من السباب والشتيمة الشيء الكثير. ولم يستمع متنورو المؤسسة الدينية كالراحل الشيخ محمد الغزالي إلا إلى غناء أم كلثوم لقصيدة (نهج البردة) لأحمد شوقي التي يمتدح فيها الرسول الكريم. وكلنا يذكر قصيدة القيادي الإخواني الأردني يوسف العظم، الذي قال في غناء أم كلثوم:

لا تغني الخيام يا كوكب الشرق

ولا تسكبي من راحتيه المداما

فلو أن الخيام يبعث حيا

لهوى الكأس في يديه حطاما

فهل يتزوج الظواهري (الثائر الأصولي) غدا نانسي عجرم لكي يصون عفتها، ويقصيها عن (العفن وليس الفن)، كما وصفه (حزب العدالة والتنمية) الأصولي المغربي، وكما سبق أن تزوج (الثائر الفلسطيني)، ومدير المخابرات الفلسطينية في لبنان علي حسن سلامة ملكة جمال الكون اللبنانية جورجينا رزق؟!

لماذا أهملناهم؟

ظاهرة غناء جيل نانسي عجرم، تركت لنقاد المجلات الفنية والصفحات الفنية في الصحف الرخيصة، دون أن يتنازل أحد من نقاد الثقافة العربية إلى التصدي لها، وشرح أبعادها، وأسباب وجودها، وكأن الأمر لا يعنينا استرخاصا منا لهذه الظاهرة المهمة في حياتنا. في حين أن هذه الموجة تجتاحنا في الفضائيات وفي الشوارع وفي البيوت وفي المدارس وفي كل مكان من العالم العربي، وتؤثر في حياتنا، وتشكل ذوق شبابنا وشاباتنا الفني.

وكتب كثير من نقاد الثقافة العربية المعاصرة التقليديين، يهاجمون أسلوب جيل نانسي عجرم في الغناء، واعتبر معظمهم أن ما يتم تقديمه فن رخيص وهابط. وبرر البعض هبوط هذا الفن ورخصه إلى هبوط الحياة العربية عموما ورخصها. وكان الملحن والمغني المصري الشهير الشيخ إمام عيسى يقول: لكل زمان فنه (انظر كتابنا: (الأغاني في المغاني) بجزأيه). وما الفن إلا انعكاس لهذه الحياة، تصديقا لكلام ابن خلدون القائل : (إن الغناء أول ما ينهار عندما يصاب المجتمع بالتدهور والتخلف). في حين يقول برتولد برخت الكاتب المسرحي الألماني: (الفن ليس مرآة تعكس الحقيقة، ولكنه مطرقة تشكل الحقيقة). وتم النظر النقدي إلى هذه الأغاني بالمنظار الأخلاقي الديني المثالي والقبلي التقليدي. في حين أن الفن عموما لا يخضع لميزان الأخلاق الدينية أو الاجتماعية. بل إن هناك من يعتبر (الفن هو الخيال الجنسي) كما قال جورج ناثان الناقد المسرحي الأمريكي. ولعل هذا ما أدركه

جيل نانسي عجرم. فتماثيل النحاتين اليونانيين والإيطاليين العارية تماما للرجال والنساء، تعتبر في نظر النقاد الإسلاميين - مثالا لا حصرا - أعمالا لا تقتنى، ويجب محاربتها. ولوحات الرسام الانطباعي ايجون سكايل الجنسية العارية (العناق، وامرأة مضطجعة، ١٩١٧) تعتبر فنا هابطا ومحرما ومدمرا في المسيحية والإسلام. فكل الفنون مدمرة، كما قال بيكاسو. في حين أن لا فن هابطا وفنا صاعدا فمهما كان الفن رخيصا وهابطا في موازين الأخلاق الدينية والقبلية، وموازين بعض النقاد، إلا أنه في الوقت نفسه يظل فنا معبرا عن واقع وحالات. وشرط الفن السليم أن يكون معبرا عن واقع وحالات، فيضيف بذلك وثيقة عن حال أمة، أو فرد، أو أفراد في مرحلة معينة. وفن جيل نانسي عجرم هو اعتراف ومصالحة مع الواقع العربي القائم الآن.

يقول الشاعر الغنائي المصري عنتر هلال: (نحن غير مصدقين أن هناك إيقاعا جديدا، أو عالما جديدا جد علينا، وعلينا أن نكون أذكى من ذلك، ونتعامل معه بواقعية. علينا أن نتصالح مع الواقع).

هل لنا ذائقة رباب؟

لقد هاجم النقاد الكلاسيكيون الشاعر العملاق بشار بن برد، عندما نظم بيتين من الشعر تحية لجاريته رباب، وقال لها:

رباب ربة البيت تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات وديك رائع الصوت

وعندما عاتبه النقاد على هذا الشعر التافه، كان رده بأن هذا الشعر هو ما يعجب رباب، ويجعلها تنشط في رعايتها للبيت. وأن هذين البيتين بالنسبة لرباب هما أهم من كل ما قاله من شعر !

فهل هناك أتفه من هذا الكلام؟

ولكن تفاهة هذين البيتين هو ميزان بعض النقاد، وليس ميزان الذائقة العامة التي كانت سائدة في وسط رباب، جارية بشار بن برد.

تفاهة جيلين

تفاهة جيل عجرم، التي يتحدثون عنها، وينتقدونها، بل يسبونها، لا تضاهي تفاهة غناء سيد درويش كذلك. فسيد درويش العظيم، غنى أغاني تافهة جدا بل هي أكثر تفاهة مما نسمعه اليوم من جيل نانسي عجرم. ومن هذه الأغاني: (شفتي بتاكلني أنا في عرضك) وأغنية (اشمعنى يا نخ الكوكايين كخ)، وأغنية (الحشاشين) وغيرها من توافه الأغاني. كما لحن الشيخ زكريا أحمد أغاني تافه جدا ، منها (أرخي الستارة اللي في ريحنا لحسن جيرانك تجرحنا) التي غنتها منيرة المهدية ١٩٢٠ . كذلك لحن طقطوقة (ما تخافش علي)، والتي قال عنها الناقد الغنائي كمال النجمي إن كلماتها لا تصلح للنشر في هذا الزمان المختلف.

وجيل نانسي عجرم، يغني أغاني تافهة في كثير من الأحيان، وأغاني سطحية في كثير من الأحيان، ولكن لا أحد ينكر بأن هذه الأغاني نابعة من تفاهة الوضع العربي القائم الآن،

ومن سطحية الطروحات العربية في السياسة، والاجتماع، والفكر.
فمن أين يأتي هذا الجيل بالفن الرفيع، أو الفن الراقي، والحياة العربية في أدنى مستوياتها من النواحي كافة، وتعتريها التفاهة والسطحية؟
وما جيل نانسي عجرم إلا المعبر الحقيقي والجريء عن هذا الواقع التعيس والمتدني، الذي نعيشه الآن من النواحي كافة.
فلماذا ننتقد هذا الكلام (التافه) الذي يغنيه هؤلاء المغنون، ولا ننتقد الكلام التافه والسطحي الذي يملأ صحفنا المحلية، وبرامجنا التليفزيونية؟
لماذا لا يعتبر هذا الفن العفوي خروجا على الأنماط الفنية التقليدية، وتكسيرا لقواعد الفن الكلاسيكي الرتيب بعيدا عن التصنع؟

التفاهة الفنية والتفاهة الدينية
لماذا لا يعتبر هذا الفن بمثابة الامتداد الطبيعي للتفاهة الدينية التي تبثها مئات المواقع على الانترنت، والتي تأتي كل يوم بإسلام جديد، وبدين جديد غريب عنا؟
ثم لماذا لا نعتبر فن جيل نانسي عجرم ردا شجاعا على أعمال الإرهاب التي تجتاح العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه، سواء كان هذا الإرهاب إرهابا مسلحا، أو كان إرهابا سياسيا، واجتماعيا، وثقافيا؟

هذا هو سوقكم

لقد بلغ عدد المغنين من الشباب في العالم العربي اليوم الآلاف وليس المئات. وأصبح الإنتاج الغنائي من أكثر السلع رواجا لأمة حزينة، مكلومة، ومهزومة، تريد أن تفرج عن نفسها. ونشهد لأول مرة في تاريخ غناء العرب، تخصيص فضائيتين لبث أغاني الفيديو كليب، إضافة إلى العدد الهائل من الأغاني التي تبثها المحطات الفضائية الأخرى، وقيام مؤسسة تجارية ضخمة تتولى إنتاج وتوزيع واحتكار أغاني هؤلاء الشباب. وأصبح كل الشباب والشابات وفي الوطن العربي، يغنون بدون احتراف، في الشارع، والحي، والمقهى، وعلى أسطح المنازل، وفي كل مكان. لم يعد المسرح المعد خصيصا، هو المنصة الوحيدة التي يقف عليها المغني، كما كان يفعل عبده الحمولي، وعبد الوهاب، وأم كلثوم ، وعبد الحليم حافظ. أصبح أي مكان في هذا العالم صالحا لأن يكون خشبة مسرح صالحة للغناء.

فأين السبيل للهروب وإنكار هذا الواقع، الذي يلعب دورا هاما وبارزا في تشكيل الثقافة العربية؟

جيل عجرم بين التقليديين والليبراليين

كان رد فعل المؤسسات الدينية والقبلية التقليدية عنيفا على فن جيل نانسي عجرم. واعتبر بعضهم أن ما يحصل الآن هو (مصيبة عظمى وطامة كبيرة، تضم إلى ما قبلها من البلايا والرزايا، وجب النصح والتذكير أن هذا الأمر لا ينبغي السكوت

عنه، بل يجب الحذر منه، والابتعاد عنه، وهو ما يحصل في القنوات الفضائية من خدش للحياء، والعفة، والكرامة) (سعيد الغامدي، موقع (صيد الفوائد) على الانترنت). وفي الكويت صدرت فتوى دينية شهيرة بتحريم غناء النساء.

في حين اعتبر مفكرون ليبراليون كعلي حرب المفكر اللبناني في مقاله (ستار أكاديمي ونانسي عجرم: ما الذي جنيناه من ثقافة الأعمدة) أن (ثمة من يتعامل مع هذه الظاهرة بعين السلب والعداء، إذ يرى أنها مظهر يدل على فقر الثقافة وانحطاط الفن. بل هناك من يتحدث عن موت الثقافة، وتسليع العقول والأجساد، معتبرا ذلك نتيجة سيئة لعصر العولمة والتقنية. فمن جهتي أنا أقرأ الظاهرة بصورة مختلفة. فالعولمة، بما تعنيه من تشكل مجتمع المشهد والشبكة والصورة، قد فتحت إمكانات لا سابق لها للتعدد والتنوع والتفرد في مختلف مجالات الإنتاج المادي والرمزي. فنحن إزاء واقع جديد لا يغني معرفة، ولا يجدي عملا، وصفه بـ (التفاهة) كما ينعته الكثيرون من أصوليي الحداثة والعقيدة، بأفكارهم الحديدية، وذائقتهم المتحجرة. الأجدى والأغنى قراءة الواقع لمعرفة ما طرأ عليه من تحولات، من حيث مشهده، ونظامه، ومفاهيمه، وقواه، وأدواته. وأبرز هذه التحولات هو تغير العلاقة مع الواقع والحقيقة، بعد تشكل الواقع الافتراضي، والاقتصاد المعرفي، وبروز الإنسان الرقمي، والفاعل الميديائي. وما تلفزيون الواقع إلا ثمرة من ثمار هذا التحول) (جريدة (السفير) ، ٢٠٠٤/٦/٢٤).

Star Academy 4

برنامج ستار أكاديمي وغيره من برامج المنوعات الغنائية الراقصة المبهرة، الذي تقدمه محطة الإرسال اللبنانية وغيرها من محطات التلفزة اللبنانية، من البرامج التي تبشر بمستقبل قريب للحداثة في العالم العربي، بل هو مطالع الحداثة الفنية بعينها.

وهذا الكلام، لا يعجب، ولا يرضي ٩٩ بالمائة من المجتمع العربي ذي النسق المحافظ والتقليدي، بل ربما لا يرضي أيضا معظم الحداثيين الأصوليين الذين أشار اليهم قبل قليل علي حرب. ولكن الذي يبشر بالخير، أن هذا البرنامج في دوراته الأربع، قد تمثل فيه شباب وصبايا من مختلف أنحاء الوطن العربي، وخاصة من البلدان المحافظة والتقليدية كالسعودية والكويت وغيرهما من بلدان الخليج.

أنا من الحريصين جدا على مشاهدة هذا البرنامج أسبوعيا، ومنذ سنوات، ليس لكي أستمتع بمشاهدة لوحاته الجميلة وفتياته الأجمل، ولكن لكي أطمئن نفسي واقنعها، بأن الجيل العربي القادم هو جيل عصره وزمانه، وليس جيلا مرتهنا لعصور سابقة. وتكاد لا تفوتني حلقة من حلقاته إلا إذا كنت مسافرا وعندما يحين موعد هذا البرنامج الشيق، أطرح جانبا أي كتاب في يدي سواء كان لهيجل، أو ابن رشد، أو ابن خلدون، أو فؤاد زكريا، أو سبينوزا جانبا، واتسمر أمام التلفزيون.

لماذا أنا معجب بهذا البرنامج؟

وسر إعجابي بهذا البرنامج، هو أنه يستقطب الشباب

والصبايا، من أجل تقديم وجوه جديدة للفن الغنائي والفن الراقص. ويبعدهم عن التحليق مع طيور الظلام، والالتحاق بفرق الموت ، والأحزاب الدينية، وقوافل الانتحاريين في العراق، وفلسطين، ولبنان، ودول الخليج.

إنه يبث فيهم حب الحياة، وليس طلب الموت.

يدفعهم إلى الغناء للحياة والأمل، وليس النشيد للنحر والانتحار .

يري الشباب الحور العين في الدنيا، وعلى الأرض، وليس في الوعد والخيال، وبين ثنايا الميثيولوجيا.

ويعد الشباب بالحور العين، ليس مقابل تفجير أجسادهم في أجساد عشرات الأبرياء كل يوم، ولكن مقابل الإبداع، والإتقان، والعطاء في الحياة.

برنامجي المفضل

ففي مساء كل يوم جمعة أحرص على أن أشاهد ستار أكاديمي. وأفضل مشاهدته على مشاهدة، أو سماع، أية خطبة سياسية كاذبة وملفقة، لأي سياسي عربي، من باعة السمك الفاسد.

أحرص على مشاهدة برنامج ستار أكاديمي، وأفضله على أي برنامج نقاش سياسي (ملغوم) و (مبرمج) و (مطبوخ) بعناية، من أجل خدمة أيديولوجية معينة، أو نظام حكم معين، أو توجه سياسي معين.

أحرص على مشاهدة ستار أكاديمي، وأفضله على أية خطبة يلقيها الشيخ يوسف القرضاوي، أو حسن نصر الـلـه، أو حارث الضاري، أو محمد مهدي عاكف مرشد الإخوان المسلمين. فكل هؤلاء وغيرهم من (السيادينيين) سرقوا الدين وسرقوا السياسة كذلك، وامتطوها من أجل منافعهم، وتحقيق مآربهم السياسية. في حين أن شباب وصبايا ستار أكاديمي، لم يسرقوا، ولم يكذبوا. وجاءوا إلى ستار أكاديمي، من أجل أن يقدموا لنا مواهبهم بكل صدق، دون وسيط، أو محسوبية، أو رشوة، أو جاه، أو سلطان، أو عصا، وبكل حرية، وتم اختيارهم كنجوم فنية بكل ديمقراطية.

فالمكان الوحيد الذي يمارس فيه العرب حريتهم في الاختيار، وديمقراطية الانتخاب، دون تزوير، ودون رشوة، ودون خوف من قبضايات الزعيم، هو ستار أكاديمي.

ستار أكاديمي والإرهاب

لو تحول العالم العربي كله إلى ستار أكاديمي، فيه الشعب العربي يرقص، ويغني، بشبابه وصباياه في الشوارع والأعياد والمناسبات الاجتماعية، لما كان للإرهاب بيننا مكان اليوم.

لو أصبح العالم العربي مسرحا من مسارح ستار أكاديمي، لعم فيه الأمن والأمان، وخلا من لصوص الوطن، وارهابيي الوطن، وقتلة الأحرار.

لو كانت في كل بلد عربي روح بين مواطنيه، كالروح الموجودة بين شباب وصبايا ستار أكاديمي، لكنا بألف خير ونعيم، ولنام

الحمل في حضن الثعلب، ولما كان بيننا لا ابن لادن، ولا الظواهري، ولا الزرقاوي، ولا الحمراوي، ولا الصفراوي.

برنامج للحياة وآخر للموت
ستار أكاديمي هو برنامج للحياة.
صندوق الدنيا العجيب.
عندما تشاهده، لا يمكن لك أن تشعر بأنك في العالم العربي، عالم القبائل الدموية، وعالم القتل على الهوية، وعالم تفخيخ عشرات السيارات اليومية، وعالم الكذب والشعوذة، وعالم الإعلام المحكوم من قبل رجال دين، وعالم الحلال والحرام الكاذب، وعالم الفساد المالي والسياسي، وعالم الحجاب والحجب، وعالم الخوف من عذاب القبر، وعالم الفقر، والتخلف، والأمية التي تبلغ ضعف مجموع عدد الأميين في العالم كله، كما قال تقرير منظمة (الاليسكو) لعام ٢٠٠٥.
فمثل هذه البرامج، ومثل هذا العالم الخيالي والواقعي، لا تنتجه غير شعوب متقدمة، ومزدهرة، وراقية، ومحبة للحياة والسلام.
فهل حقا نحن نملك كل هذه المواهب الزاهرة؟
نعم نملك كل هذه المواهب الزاهرة، ولكننا ننتظر اليد السحرية، والعقل الساحر، والموهبة الساحرة، التي تخرجها من قمقم الخوف، والفزع، والقمع، والتهديد بعذاب جهنم.

وصفة طبية

كلما شاهدت حلقة من حلقات ستار أكاديمي عاد التفاؤل إلى نفسي، وعادت السكينة إلى قلبي، بعد نهار مليء بمشاهد التشاؤم والغثيان، من خطبة لحاكم كذاب، إلى تصريح لسياسي دجال، إلى مقال لغافل عن الحق، إلى برنامج سياسي ساذج لا يعقله حتى الأطفال، إلى فتوى رجل دين نصاب، إلى أخبار القتل والتفخيخ، وكأننا في غابة وحوش.

مشاهدة ستار أكاديمي وصفة طبية، للذين فقدوا الأمل بالغد.

مشاهدة ستار أكاديمي، دواء ناجع، لنسيان الخيبة العربية اليومية الكبرى.

مشاهدة ستار أكاديمي، تنسيك أنك في عالم يحكمه نسق ديني، رجعي، تقليدي، ومحافظ مغلق.

مشاهدة ستار أكاديمي، تفرح قلوب المشاهدين كافة من كل الأعمار. وأنا متأكد بأن ٩٩ بالمائة من مشاهدي التلفزيون، بمن فيهم شيوخ الدين، وشيوخ القبائل، والأجداد، والجدات، والآباء، والأمهات، يشاهدون هذا البرنامج علانية وخفية، ويتمنى كل واحد منهم، أن يكون أحد هؤلاء الشباب، أو الصبايا. رغم كل ما يتعرض له هذه البرنامج وأمثاله من هجوم شنيع وكاذب على منابر المساجد، وفي الحلقات الدينية، وفي دروس الظلام، وفي حظائر المدارس، وفي أعمدة الصحف المصفحة ضد النور والتنوير.

خاص بلبنان

ستار أكاديمي، وغيره من برامج المنوعات المثيلة له، في محطات التلفزة الأخرى، هي صورة لبنان الحقيقي، ولا يمكن أن تتم وتبث في بلد عربي غير لبنان.

لبنان، بلد الفن، والجمال، والألوان الزاهية. لا بلد السياسيين السارقين الناهبين، الذي يضعون مفاتيح الأوطان في جيوبهم، ويغلقون الوطن الدكان، وكأن الوطن أصبح دكانا لهم، متى أرادوا فتحوها، ومتى أرادوا أغلقوها.

لبنان بلد المعنى والمغنى

لبنان، بلد المعنى والمغنى، لا بلد العمائم السود، والبيض، والخضر.

لبنان، بلد الحداثة، و العلمانية، والحرية، والديمقراطية، ومن هنا يسعى العرب، كل العرب، إلى اصطياد وقتل هذا الطائر الجميل الغريب في سماء العرب المغبرة.

لبنان، بلد الخضرة، والزهر، والموال، لا بلد الدماء، والتفجيرات، والقتل العربي في عز الظهيرة.

ستار أكاديمي هو لبنان، المفترض أن يكون، بعيدا عن العرب والعجم، وأحقادهم السوداء، وأطماعهم، ومصالحهم، وحروبهم الوهمية الدونكشوتية، ضد الريح.

قلبي الذي شاخ، يتحول إلى بساط أخضر، مليء بشقائق النعمان والدحنون، عندما أشاهد كل يوم جمعة ستار أكاديمي، وأشم فيه رائحة لبنان.

الفهرس التحليلي

الدينية، الدور الوهمي، مناهجنا الدينية في عيون الغرب، أسباب نفي دور المناهج الدينية في رفع وتيرة الإرهاب، الإرهابيون يساريون.

فضاء الإرهاب
الإرهاب والفوضوية وجهان لعملة واحدة.
الإرهاب والفوضوية، التدمير هو القاسم المشترك، وجوه تشابه الفوضوية والإرهاب، قراءة في الماضي والحاضر، الإرهاب والفوضوية عدو واحد.

الإرهاب لم يعد ضد الاحتلال وإنما ضد الحداثة
لا علاقة للإرهاب بالاحتلال، سوبر ماركت الإسلام، جناية الفقهاء، الإرهاب ضد الحداثة والليبرالية، الإرهاب وراء بصيص الحداثة، مظاهر الحداثة، حاسة شم الكلاب.

كلام تافه في حرق الأرز
لا كلام يليق بهذه الدماء، الجزارون يتحدون العالم، فساد السياسيين هو الأساس، أين السياسي المخلص؟ الفساد السياسي اللبناني هو الأقبح، شعراء لم يعرفوا لبنان، لبنان الغزال بين أوطان الضباع، لبنان العجز والمعجزة، الساطور أكبر من أن يخفى.

هل بقي في بيروت مكان لقبر آخر؟
رثاء بيروت، مسلخ الأحرار، بيروت المجزرة، مقبرة العرب الشوكية، بيروت قتلت أبناءها، ضدان لا يجتمعان: بيروت والاستبداد العربي، سراج الحرية، الحرب لم تنته، مجزرة القبائل.

الإرهاب والدين
التجارة الرابحة بالدين
رجل الدين هو الأول، رجل الدين هو الولي والوصي، ملايين الأسئلة كانت تبحث عن إجابات، عظمة العقل البشري، رجل الدين وفوبيا النساء.
لماذا أصبح رجال الدين قادة الركبان؟
الدين: من رسالة إلى مهنة وتجارة، أسباب أهمية رجال الدين اليوم.

الإرهاب والثقافة
الإرهاب وجناية المثقفين
قبائل المثقفين، القديسون، لماذا كان المثقفون جناية على الإرهاب؟ علاقة الإسلام الملتبسة بالغرب، نماذج ثقافية مخزية، مروجو الديكتاتوريات.

وثيقة إرهابية جديدة مدموغة بخاتم الأكاديمية
لماذا لا أثر لكتاب (الحداثة في ميزان الإسلام)؟ تاريخ الإرهاب الثقافي يعيد نفسه، الحداثة و العلمانية سموم وخمور فكرية، زنادقة وملاحدة، مجزرة شنيعة ومقرفة للثقافة، كتاب أخطر من سابقه، جناية صمت المثقفين، إنفلونزا الإرهاب، النص الكامل للرسالة المفتوحة لخادم الحرمين الشريفين.

الإرهاب والحب
الحب في زمن الإرهاب
أسئلة حائرة، نعم للحب، عولمة الحب العربي، الحب العربي الجديد، السلامة والندامة.

الصحاح في نقد الملاح
حور عين في الأرض والسماء، النقد الثقافي من جديد، الغناء الجديد سلاح في وجه الإرهاب، تحية كاريوكا وإدوارد سعيد، من العباءة إلى الجينز، عوالم القرن الحادي والعشرين، ما الجديد لدى جيل نانسي عجرم؟ أغلى نساء العالم، أهمية جيل نانسي عجرم، دور حضاري، لماذا كفروا هذا الجيل، هل هؤلاء من سيفتح أبواب العولمة؟ لماذا أهملناهم؟ هل لنا ذائقة رباب؟ تفاهة جيلين، التفاهة الفنية والتفاهة الدينية، هذا هو سوقكم، جيل عجرم بين التقليديين والليبراليين، ستار

أكاديمي ٤، لماذا أنا معجب بهذا البرنامج، برنامجي المفضل، ستار أكاديمي والإرهاب، برنامج للحياة وآخر للموت، وصفة طبية، خاص بلبنان، لبنان بلد المعنى والمغنى.

كتب للمؤلف

في نقد الشعر:

١- فدوى تشتبك مع الشعر (دراسة في شعر فدوى طوقان) ١٩٦٣.

٢- رغيف النار والحنطة (دراسة في الشعر العربي الحديث) ١٩٨٦.

٣- الضوء واللعبة (دراسة في شعر نزار قباني) ١٩٨٦.

٤- مجنون التراب (دراسة في شعر محمود درويش) ١٩٨٧.

٥- نبت الصمت (دراسة في الشعر السعودي الحديث) ١٩٩٢.

٦- قامات النخيل (دراسة في شعر سعدي يوسف) ١٩٩٢.

٧- عاشق خزامى (حفريات الحب والحكمة في شعر خالد الفيصل) ٢٠٠٦.

في نقد الرواية:

٨- مذهب للسيف ومذهب للحب (دراسة في أدب نجيب محفوظ) ١٩٨٥.

٩- فض ذاكرة امرأة (دراسة في أدب غادة السمان) ١٩٩٠.

١٠- مدار الصحراء (دراسة في أدب عبد الرحمن منيف) ١٩٩١.

١١- مباهج الحرية في الرواية العربية (دراسة لعشرة روائيين عرب) ١٩٩٢.

١٢-جماليات المكان في الرواية(دراسة في أدب غالب هلسا) ١٩٩٤.

١٣- الرواية الأردنية وموقعها من خارطة الرواية العربية، (مع آخرين) ١٩٩٤.

في نقد القصة القصيرة:

١٤- النهايات المفتوحة (دراسة في أدب انطون تشيكوف) ١٩٦٣.

١٥- المسافة بين السيف والعنق (دراسة في القصة السعودية) ١٩٨٥

في نقد الموسيقا:

٦١- الأغاني في المغاني- جزآن (السيرة الفنية للشيخ إمام عيسى) ١٩٩٨.

في نقد الفن التشكيلي:

١٧- أكله الذئب (السيرة الفنية للرسام ناجي العلي) ١٩٩٩.

في نقد الثقافة:

١٨- الزمن المالح (أوراق في جدلية السياسة والثقافة العربية) ١٩٨٦.

١٩- الثقافة الثالثة (أوراق في التجربة الثقافية اليابانية) ١٩٨٨.

٢٠- النهر شرقا (دراسة في الثقافة الأردنية المعاصرة) ١٩٩٣.

٢١- عصر التكايا والرعايا (المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني) ١٩٩٩.

٢٢- هاملت عربي (مع آخرين) (أوراق في ذكرى مؤنس الرزاز) ٢٠٠٣

في نقد الفكر:

٣٢- الرجم بالكلمات (دراسة لمجموعة من المفكرين العرب المعاصرين) ١٩٨٩.

٢٤- ثورة التراث (دراسة في فكر خالد محمد خالد) ١٩٩١.

٢٥- الفكر العربي في القرن العشرين ١٩٥٠-٢٠٠٠، (ثلاثة أجزاء) ٢٠٠١.

٢٦- الليبراليون الجدد (جدل فكري مع آخرين) ٢٠٠٥.

٢٧- محامي الشيطان (دراسة في فكر العفيف الأخضر) ٢٠٠٥.

في نقد السياسة:

٨٢- النار تمشي على الأرض (شهادات في الحياة العربية) ١٩٨٥.

٢٩- قطار التسوية (دراسة لكافة مبادرات التسوية الفلسطينية) ١٩٨٦.

٣٠- محاولة للخروج من اللون الأبيض (أوراق في السياسة العربية) ١٩٨٦.

٣١- وسادة الثلج (العرب والسياسة الأمريكية) ١٩٨٧.

٣٢- السلطان (دليل السياسة لحفظ الرئاسة) ٢٠٠٠.

٣٣- الشارع العربي (دراسة سياسية تاريخية) ٢٠٠٣.
٣٤- صعود المجتمع العسكري العربي (مصر وبلاد الشام) ٢٠٠٣.
٣٥- زوايا حرجة في السياسة والثقافة ٢٠٠٤.
٣٦- الزلزال (أوراق في أحوال العراق) ٢٠٠٥.
٣٧- أسئلة الحمقى (في السياسة والإسلام السياسي) ٢٠٠٥.
٣٨- لماذا؟ (أسئلة العرب مطلع الألفية الثالثة) ٢٠٠٦.
٣٩- ابن لادن والعقل العربي ٢٠٠٧.
٤٠- سجون بلا قضبان (يحدث في العالم العربي الآن) ٢٠٠٧.
٤١- بالعربي الفصيح، ٨٠٠٢.
٤٢- سور العرب العظيم ٩٠٠٢.
٤٣- تهافت الاصولية، ٩٠٠٢.

في نقد التاريخ:
٤٤- المال والهلال (الموانع والدوافع الاقتصادية لظهور الإسلام) ٢٠٠٢.
٤٥- لو لم يظهر الإسلام ما حال العرب الآن ؟ ٢٠٠٢.

في نقد التربية:
٤٦- الطائر الخشبي (شهادات في سقوط التربية العربية) ١٩٨٨.

في نقد التنمية:
٤٧ - لكي لا ينبت الشوك في أيدينا (شهادات في الحياة السعودية) ١٩٨٤.

٤٨- سعودية الغد الممكن (بحث استشرافي تنموي) ١٩٨٥.
٤٩- طلق الرمل (أوراق في التنمية والثقافة الخليجية) ١٩٨٨.

في ترجمة النقد:
٥٠- سارتر المفكر العقلي الرومانسي ١٩٦٤.
٥١- دراسات في المسرح الفرنسي ١٩٦٤.

THE GREAT WALL OF ARABIA



سورُ العَربِ العَظيم

ماهو ولماذا؟

نحن الآن تحت الحصار : حصار الإرهاب ، ونقبع وراء سور عظيم : سور الإرهاب والإسلام السياسيّ الّذي أصبح طاغيا في العالم العربيّ ، بحيث أصبح رجل الدين هو صاحب النطق الأوّل والأخير ، وهو الرجل الأوّل ، وهو في المقام الأوّل ، وصاحب الكلمة الأولى ، والخبطة الأولى ، والكرسيّ الأوّل ، وفنجان القهوة الأوّل .
وأصبحت كلمة من رجل الدين تغلق شارعًا وتفتح شارعًا ، وتغلق جريدة ، وتطرد رئيس تحرير جريدة ومدير محطّة تلفزيون أو إذاعة ، وتهدّد وزراء الثقافة بالطرد والمحاكمة ، وأصبح رجل الدين يصدر الفتاوى بقتل المثقّفين والشعراء وحرق كتبهم ودواوينهم ، ونفيهم من بلادهم إلى بلاد الغرب ، وإهدار دمائهم على شاشات الفضائيّات دون أن يؤاخذ على ذلك أو يحاسب من قبل الدولة أو من قبل الرأي العامّ أو منظّمات حقوق الإنسان العربيّة الّتي من المفروض أن تدافع عن أصحاب الرأي الآخر ، ففتوى هؤلاء وغيرهم من رجال الدين لا تحاسب ولا تعاقب .
وفي هذا الكتاب ، يقلّب المؤلّف صفحات الأيّام العربيّة الّتي يعيشها العرب وراء سورهم العظيم ، الّذي بنوه لا ليحميهم من غزو الغزاة العسكريّ ، ولكن ليصدّ عنهم أنوار الحداثة والليبراليّة وفكر العصر الجديد .


ISBN 978-9953-36-319-6

